۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ
٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٣٥ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ
٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٤٠

(فَمَنْ أَظْلَمُ) محذرا و مخبرا:– أنه لا أظلم و أشد ظلما(مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ)

إمـــــا :–١–بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله٢–أو بادعاء النبوة٣–أو الإخبار بأن اللّه تعالى قال كذا،

أو أخبر بكذا،٤–أو حكم بكذا و هو كاذب،فهذا داخل في قوله تعالى:–(وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)

إن كان جاهلا و إلا فهو أشنع و أشنع.

(وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ)

ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه،

لأنه رد الحق بعد ما تبين له،فإن كان جامعا بين الكذب على اللّه و التكذيب بالحق، كان ظلما على ظلم.

(أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ)

يحصل بها الاشتفاء منهم، و أخذ حق اللّه من كل ظالم و كافر.

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)١٣

(وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ)هو رسول اللهﷺ-الانبياءOفي قوله و عمله،فدخل في ذلك الأنبياء و من قام مقامهم،

ممن صدق فيما قاله عن خبر اللّه و أحكامه،و فيما فعله من خصال الصدق.

(وَصَدَّقَ بِهِۦٓ) محمد ﷺ-الاتباع-المسلمونOأي:– بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق،

و لكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله و أتى به

فلا بد في المدح من الصدق و التصديق،

فصدقه يدل على علمه و عدله، و تصديقه يدل على تواضعه و عدم استكباره.

(أُوْلَٰٓئِكَ)الذين وفقوا للجمع بين الأمرين

(هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ)فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق و التصديق به٣٣

(لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ)من الثواب، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر

(ذَٰلِكَ جَزَآءُ)الذين يعبدون اللّه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم (ٱلْمُحْسِنِينَ)إلى عباد اللّه٣٤

(لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ)أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم و تقواهم،

(وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ)بحسناتهم كلها

عمــــــل الإنســـــــان له ثـــــــلاث حــــــــالات:-

١-إما أســــــوأ٢-أو أحســــــن٣-أو لا أســــوأ و لا أحســــــن.و القسم الأخير قسم المباحات

و ما لا يتعلق به ثواب و لا عقاب، و الأسوأ، المعاصي كلها،و الأحسن الطاعات كلها٣٥

(أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ)محمداًﷺوعيد المشركين و كيدهم من أن ينالوه بسوء؟

(وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ)من الأصنام و الأنداد أن تنالك بسوء،و هذا من غيهم و ضلالهم.

(وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ)مَنِيعِ الْجَنَابِ لَا يُضَامُ، مَنِ اسْتَنَدَ إِلَى جَنَابِهِ وَ لَجَأَ إِلَى بَابِهِ ٣٦

(وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ)

لأنه تعالى الذي بيده الهداية و الإضلال،و هو الذي ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن

(أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ)له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، و بعزته يكفي عبده و يدفع عنه مكرهم

(ذِى ٱنتِقَامٍ)ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته٣٧

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم)و لئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه،و أقمت عليهم دليلا من أنفسهم،

فقلت:-(مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئا.

(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)الذي خلقها وحده (قُلْ) لهم مقررا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة اللّه:-

(أَفَرَءَيۡتُم)أخبروني (مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ)أيَّ ضر كان.

(هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ)بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟

(أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ)يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي(هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ)

Oو مانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر و لا يمسكون الرحمة.

قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، و أنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده،

و أن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق

و النفع و الضر، مستجلبا كفايته، مستدفعا مكرهم و كيدهم:-

(قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ)يكفينى

(عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ)عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم و دفع مضارهم

فالذي بيده – وحده – الكفاية هو حسبي،سيكفيني كل ما أهمني و ما لا أهتم به٣٨

(قُلۡ)لهم يا أيها الرسول:-(يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ)

على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم،من عبادة من لا يستحق من العبادة شيئا و لا له من الأمر شيء.

(إِنِّي عَٰمِلٞۖ)على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين للّه تعالى وحده(فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ)لمن العاقبة٣٩

و (مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ)في الدنيا(وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ) في الأخرى

(عَذَابٞ مُّقِيمٌ) لا يحول عنه و لا يزول،و هذا تهديد عظيم لهم، و هم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم

و لكن الظلم و العناد حال بينهم و بين الإيمان٤٠

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ
فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ
﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ
إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ
عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ
لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ)

في:–أخباره و أوامره و نواهيه، الذي هو مادة الهداية،

و بلاغ لمن أراد الوصول إلى اللّه و إلى دار كرامته،و أنه قامت به الحجة على العالمين.

(فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ)بنوره و اتبع أوامره (فَلِنَفۡسِهِۦۖ)فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه

(وَمَن ضَلَّ)بعدما تبين له الهدى(فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ)لا يضر اللّه شيئا

(وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ)

تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها،و تجبرهم على ما تشاء،و إنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به﴿٤١﴾

(ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا) و هذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

و إخباره أنه يتوفى الأنفس و إضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت و أعوانه

كما قال تعالى:(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار أنه الخالق المدبر

و يضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى و حكمته أن:–جعل لكل أمر من الأمور سببا.

(وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ)

و هذه الموتة الصغرى، أي: و يمسك النفس التي لم تمت في منامها،

(فَيُمْسِكُ) من هاتين النفسين النفس

(ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ) و هي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

(وَيُرْسِلُ)النفس(ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ)إلى استكمال رزقها و أجلها.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)على كمال اقتداره، و إحيائه الموتى بعد موتهم﴿٤٢﴾

و فـــــى هـــــذه الآيـــــة:-

١-دليل على أن الروح و النفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن،

٢-و أنها مخلوقة مدبرة، يتصرف اللّه فيها في الوفاة و الإمساك و الإرسال،

٣-و أن أرواح الأحياء و الأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحادث،

فيرسل اللّه أرواح الأحياء، و يمسك أرواح الأموات.

(أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ)

ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم و يسألهم و يعبدهم.

(قُلْ)لهم - مبينا جهلهم،و أنها لا تستحق شيئا من العبادة:-

(أَوَلَوْ كَانُواْ)من اتخذتم من الشفعاء

(لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا)لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،

(وَلَا يَعْقِلُونَ)بل و ليس لهم عقل، يستحقون أن يمدحوا به،لأنها جمادات من أحجار و أشجار و صور

و أموات فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلا؟ أم هو من أضل الناس و أجهلهم و أعظمهم ظلما؟ ﴿٤٣﴾

(قُل)لهم: (لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ)لأن الأمر كله للّه.و كل شفيع فهو يخافه،

و لا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده،أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنين.

○ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله (لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ)

جميع ما فيهما من الذوات و الأفعال و الصفات فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، و تخلص له العبادة.

(ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، و من أشرك به بالعذاب الوبيل﴿٤٤﴾

○يذكر تعالى حالة المشركين، و ما الذي اقتضاه شركهم أنهم

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ)توحيدا له، و أمر بإخلاص الدين له، و ترك ما يعبد من دونه،

(ٱشۡمَأَزَّتۡ)انقبضت و ينفرون، و يكرهون ذلك أشد الكراهة

(قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ)كقوله:{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}[الصَّافَّاتِ:٣٥]
عَنِ الْمُتَابَعَةِ وَ الِانْقِيَادِ لَهَا.فَقُلُوبُهُمْ لَا تَقْبَلُ الْخَيْرَ،وَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ الْخَيْرَ يَقْبَلِ الشَّرَّ

(وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ)من الأصنام و الأنداد، و دعا الداعي إلى عبادتها و مدحها

(إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ)بذلك، فرحا بذكر معبوداتهم، و لكون الشرك موافقا لأهوائهم ٤٥

(قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)خالقهما و مدبرهما

(عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ) الذي غاب عن أبصارنا و علمنا

(وَٱلشَّهَٰدَةِ)الذي نشاهد (أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ)

فِي دُنْيَاهُمْ سَتَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَ نُشُورِهِمْ، وَ قِيَامِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ٤٦

(وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ)ليفتدوا به

(مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ)و ينجوا منه، ما قبل منهم، و لا أغنى عنهم من عذاب اللّه شيئا

(يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ)
يظنون من السخط العظيم، و المقت الكبير،و قد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

وَ ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ النَّكَالِ بِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَ لَا فِي حِسَابِهِمْ ٤٧

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا
ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾
أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ
وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(وَبَدَا)ظهر(لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا)الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم و كسبهم(وَحَاقَ)أحاط (بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ)من الوعيد و العذاب الذي نزل بهم، و ما حل عليهم العقاب﴿٤٨﴾

(فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ)يخبر تعالى عن حالة الإنسان و طبيعته، أنه حين يمسه ضر، مــــن:- مــــرض أو شـــــدة أو كـــــرب.

(دَعَانَا) ملحا في تفريج ما نزل به(ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ)أعطيناه(نِعْمَةً مِّنَّا)فكشفنا ضره و أزلنا مشقته، عاد بربه كافرا، و لمعروفه منكرا و (قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ)

- أي: علم من اللّه، أني له أهل، و أني مستحق له،لأنى كريم عليه
- أو على علم منى بطرق تحصيله.

قال الله (بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ)يبتلي اللّه به عباده لينظـــــــر من يشكره ممن يكفــــــره.

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ)لجهلهم و سوء ظنهم(لَا يَعْلَمُونَ)

*أن ذلــــــك:-

١-استدراج لهم من الله،

٢-و امتحان لهم على شكر النعم.

فلذلك يعدون الفتنة منحة و يشتبه عليهم الخير المحض، بما قد يكون سببا للخير أو للشر ٤٩

قال تعالى:-(قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ)أي: قولهم(إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭ)

فما زالت متوارثة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، و لا يرون له حقا،

فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا،

(فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم)حين جاءهم العذاب(مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)من الأموال و الاولاد ٥٠

(فَأَصَابَهُمۡ)كما أصاب أولئك(سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوٓاْۚ)أي:- العقوبات لأنها تسوء الإنسان و تحزنه

(وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ)

فليسوا خيرا من أولئك، و لم يكتب لهم براءة في الزبر

(وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ)و ما هم بفائتين الله و لا سابقيه ٥١

(أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ)و لما ذكر أنهم اغتروا بالمال، و زعموا – بجهلهم – أنه يدل على حسن حال صاحبه،

أخبرهم تعالى:-أن رزقه، لا يدل على ذلك، و أنه (يَبۡسُطُ)يُوَسعُ(ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ)

من عباده، سواء كان صالحا أو طالحا(وَيَقۡدِرُ)الرزق، أي:-يضيقه على من يشاء، صالحا أو طالحا،

فرزقه مشترك بين البرية، و الإيمان و العمل الصالح يخص به خير البرية

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ)لعبرا و حججا(لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)أي:بسط الرزق و قبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك،

عائد إلى الحكمة و الرحمة، و أنه أعلم بحال عبيده، فقد يضيق عليهم الرزق:-

١-لطفا بهم،لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض،

٢-فيكون تعالى مراعيا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم و فلاحهم ٥٢

*يخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه،و يحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال:-

(قُلۡ)يا أيها الرسول و من قام مقامه من الدعاة لدين اللّه، مخبرا للعباد عن ربهم:-

(يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ)

باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب،و السعي في مساخط علام الغيوب.

(لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ)لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة،

و تقولوا قد كثرت ذنوبنا و تراكمت عيوبنا،فليس لها طريق يزيلها و لا سبيل يصرفها،

فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان،متزودين ما يغضب عليكم الرحمن،

و لكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه و جوده،

(إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ)و اعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، و القتل،و الزنا،و الربا،و الظلم، و غير ذلك من الذنوب الكبار و الصغار.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)أي:-وصفه المغفرة و الرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما ٥٣

(وَأَنِيبُوٓاْ)ارجعوا الى الله و استسلموا(إِلَىٰ رَبِّكُمۡ)بقلوبكم(وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ)بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة:- دخلت فيها أعمال الجوارح،و إذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا.

(مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ)مجيئا لا يدفع(ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ)٥٤

فكأنه قيل: ما هي الإنابة و الإسلام؟ و ما جزئياتها و أعمالها ؟

فأجاب تعالى بقوله: (وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم)

مما أمركم من الأعمال الباطنة:-كمحبة اللّه، و خشيته، و خوفه، و رجائه، و النصح لعباده، و محبة الخير لهم، و ترك ما يضاد ذلك.

و من الأعمال الظاهرة:-كالصلاة، و الزكاة و الصيام، و الحج، و الصدقة، و أنواع الإحسان، و نحو ذلك، مما أمر اللّه به، و هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا،

فالمتبع لأوامر ربه في هذه الأمور و نحوها هو المنيب المسلم

(مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً)فجأة (وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ)و أنتم لا تعلمون به ٥٥

ثم حذرهم (أَن)يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، و لا تنفع الندامة.

و (تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)أي: في جانب حقه.

(وَإِن كُنتُ)في الدنيا(لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ)في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا ٥٦

أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ
لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ
وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ
أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾
لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾
وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ
سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ)

« لو » في هذا الموضع للتمني، أي:-ليت أن اللّه هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب و أستحق الثواب،

(أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ)و تجزم بوروده(لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً)رجعة إلى الدنيا(فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) ﴿٥٨﴾

قال تعالى:-إن ذلك غير ممكن و لا مفيد،و إن هذه أماني باطلة لا حقيقة لها

(بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي)الدالة دلالة لا يمترى فيها على الحق(فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ)عن اتباعها

(وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث﴿٥٩﴾

(وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ)بكذبهم و افترائهم

و الكـــذب على اللّه يشمـــل:-

١-الكذب عليه باتخاذ الشريك و الولد و الصاحبة ٢-و الإخبار عنه بما لا يليق بجلاله.

٣-أو ادعـــاء النبوة٤-أو القول في شرعه بما لم يقله و الإخبار بأنه قاله و شرعه.

يخبر تعالى عن خزي الذين كذبوا عليه،و أن (وُجُوهُهُم)يوم القيامة

(مُّسۡوَدَّةٌۚ)كأنها الليل البهيم(أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى)مأوى (لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ)عن الحق، و عن عبادة ربهم ﴿٦٠﴾

و لما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين فقال:-(وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ)
بنجاتهم،و ذلك لأن معهم آلة النجاة،و هي تقوى اللّه تعالى، التي هي العدة عند كل هول و شدة
(لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ)العذاب الذي يسوؤهم(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)على ما فاتهم من حظوظ الدنيا ﴿٦١﴾

يخبر تعالى عن عظمته و كماله، الموجب لخسران من كفر به فقال:-(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)
هذه العبارة و ما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تـــدل على:-
أن جميع الأشياء – غير اللّه – مخلوقـــــة،ففيها رد على كل من قال بقدم بعض المخلوقات، كالفلاسفة
القائلين بقدم الأرض و السماوات،و كالقائلين بقدم الأرواح، و نحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة
تعطيل الخالق عن خلقه. و ليس كلام اللّه من الأشياء المخلوقة،
لأن الكلام صفة المتكلم، و اللّه تعالى بأسمائه و صفاته أول ليس قبله شيء،

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)و هو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه.
و أنه على كل شيء وكيل،و الوكـــــالة التـــامة لا بد فيها مـــــن:-
١-علـــــم الوكيل،بما كان وكيلا عليه، و إحاطته بتفاصيله،٢-و من قدرة تامة على ما هو وكيل عليه،
ليتمكن من التصرف فيه،٣-و من حفظ لما هو وكيل عليه،٤-و من حكمة، و معرفة بوجوه التصرفات،
ليصرفها و يدبرها على ما هو الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله،
فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها.و من المعلوم المتقرر أن اللّه تعالى منزه عن كل نقص في صفة من صفاته
فإخبـــاره بأنه على كل شيء وكيـــل:-
١-يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء،٢-و كمال قدرته على تدبيرها،و كمال تدبيره،
٣-و كمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها.﴿٦٢﴾

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)الْمَفَاتِيحُ بِالْفَارِسِيَّةِ علما و تدبيرا- خزائن السموات وَ الْأَرْضِ.
فلما بين من عظمته ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا و إكراما،ذكر حال من عكس القضية
فلم يقدره حق قدره، فقال:-(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ)الدالة على الحق اليقين و الصراط المستقيم.
(أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)خســـروا ما به تصلـــح القلـــوب مـــــن:-التـــأله و الإخـــــلاص للّه
و مـــا به تصلــــح الألسن مـــن:-إشغالهـــا بذكـــر اللّه، و ما تصلـــح به الجـــوارح مـن:-طـــاعة اللّه﴿٦٣﴾

(قُلْ)يا أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير اللّه:-
(أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)أي:-هذا الأمر صدر من جهلكم﴿٦٤﴾

(وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ) من جميع الأنبياء(لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ)ليبطلنَّ(عَمَلُكَ)

(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)دينك و آخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، و يستحق العقاب و النكال٦٥

(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ)لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، و أخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص

فقال:-(بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ)أخلص له العبادة وحده لا شريك له(وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) للّه على توفيق اللّه تعالى

فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كـــــ:-

١-صحـــة الجسم و عافيته٢-و حصـــول الرزق و غير ذلك،

كذلك يشكر و يثنى عليه بالنعم الدينية، كــــ:-١-التوفيـــق للإخلاص،٢-و التقـــوى،

بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة،و في تدبر أنها من اللّه تعالى و الشكر للّه عليها:-

ســـــلامة من آفة العجـــــب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم،

و إلا فلو عرف العبد حقيقة الحال،لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.

[البخارى]٤٨١١- عَنْ عَبْدِ اللّه ﷺقَالَ:-جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺفَقَالَ:-
يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ:-أَنّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ و الأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ،و الشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ،
وَ الْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، و سَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ
ﷺحَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ،ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللّه ﷺ:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}٦٦

(وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ)ما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره،و لا عظموه حق تعظيمه

(وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ)في قبضته(يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) على سعتها و عظمها

(مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ)(سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) تنـــــــزه و تعاظم عن شركهم به٦٧

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا
فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ
فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ)و هو قرن عظيم فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين،و أحد حملة عرش الرحمن.

(فَصَعِقَ)غشي أو مات(مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ)كلهم لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها

(إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ)ممن ثبته اللّه عند النفخة،فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم،و غيرهم و هذه النفخة الأولى:– نفخة الصعق،و نفخة الفزع.

(ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ)النفخة الثانية نفخة البعث (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ)قد قاموا من قبورهم لبعثهم و حسابهم قد تمت منهم الخلقة الجسدية و الأرواح،و شخصت أبصارهم (يَنظُرُونَ)ماذا يفعل اللّه بهم﴿٦٨﴾

(وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)أَضَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا تَجَلَّى الْحَقُّ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ

(وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ)كتاب الأعمال و ديوانه، وضع و نشر،ليقرأ ما فيه من الحسنات و السيئات

(وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ)ليسألوا عن التبليغ،و عن أممهم، و يشهدوا عليهم

(وَٱلشُّهَدَآءِ)من الملائكة، و الأعضاء و الأرض(وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ)العدل التام و القسط العظيم

(وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)شيئًا بنقص ثواب أو زيادة عقاب(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ)من خير أو شر

(وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)في الدنيا من طاعة أو معصية﴿٦٩﴾

(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)سوقا عنيفا، يضربون بالسياط الموجعة، من الزبانية الغلاظ الشداد(إِلَىٰ جَهَنَّمَ)

(زُمَرًاۖ)فرقا متفرقة،كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، و تشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، و يبرأ بعضهم

من بعض(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا)وصلوا إلى ساحتها(فُتِحَتْ)لهم أي:-لأجلهم(أَبْوَٰبُهَا)لقدومهم

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ)مهنئين لهم بالشقاء الأبدي،و العذاب السرمدي و موبخين لهم

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ)من جنسكم تعرفونهم و تعرفون صدقهم، و تتمكنون من التلقي عنهم؟

(يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ)التي أرسلهم اللّه بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين.

(وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ)و هذا يوجب عليكم اتباعهم و الحذر من عذاب هذا اليوم،

باستعمال تقواه، و قد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟(قَالُواْ)مقرين بذنبهم، و أن حجة اللّه قامت عليهم:-

(بَلَىٰ)قد جاءتنا رسل ربنا بآياته و بيناته،و بينوا لنا غاية التبيين،و حذرونا من هذا اليوم(وَلَٰكِنْ حَقَّتْ)وجبت

(كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)بسبب كفرهم التي هي لكل مـــــن:-

١- كفـــــر بآيات اللّه ٢-و جحـــد ما جاءت به المرسلون ﴿٧١﴾

فاعترفوا بذنبهم و قيام الحجة عليهم فـــــ(قِيلَ) لهم على وجه الإهانة و الإذلال:-

(ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ)كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها و يوافق عملها

(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)أبدا، لا يظعنون عنها، و لا يفتر عنهم العذاب ساعة و لا ينظرون

(فَبِئْسَ مَثْوَى)بئس المقر النار مقرهم(ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)لأنهم تكبروا على الحق﴿٧٢﴾

ثم قال عن أهل الجنة:-(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ)

بتوحيده و العمل بطاعته، سوق إكرام و إعزاز، يحشرون وفدا على النجائب

(إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ)جماعة بعد جماعة فرحين مستبشرين:-الْمُقَرَّبُونَ، ثُمَّ الْأَبْرَارُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،
ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يُنَاسِبُهُمْ:-الْأَنْبِيَاءُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الصِّدِّيقُونَ مَعَ أَشْكَالِهِمْ،
وَ الشُّهَدَاءُ مَعَ أَضْرَابِهِمْ،وَ الْعُلَمَاءُ مَعَ أَقْرَانِهِمْ وَ كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفٍ،

(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا)وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة و المنازل الأنيقة، و هبَّ عليهم ريحها و نسيمها،

(وَفُتِحَتْ)لهم (أَبْوَٰبُهَا)فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا)تهنئة لهم و ترحيبا:-

(سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ)سلام من كل آفة و شر حال عليكم(طِبْتُمْ)طابت قلوبكم بمعرفة اللّه و محبته و خشيته،

و ألسنتكم بذكره،و جوارحكم بطاعته(فـ) بسبب طيبكم(فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ)لأنها الدار الطيبة، و لا يليق بها إلا الطيبون

و قال في النـــار:-

(فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا)و في الجنة(وَفُتِحَتۡ)بالواو، إشارة إلى أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها،فتحت لهم أبوابها من غير إنظار و لا إمهال

و أما الجنـــــة:–

فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها و لا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها،

و مع ذلك:–فيحتاجون لدخولها لشفاعة أكرم الشفعاء عليه فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها

بل يستشفعون إلى اللّه بمحمد ﷺ حتى يشفع، فيشفعه اللّه تعالى(٧٣)

(وَقَالُواْ)عند دخولهم فيها و استقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم و منَّ عليهم و هداهم:–

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ)

وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا و صلحنا،

فوفَّى لنا بما وعدنا، و أنجز لنا ما منَّانا كَمَا دَعَوْا فِي الدُّنْيَا:-

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[آلِ عِمْرَانَ: ١٩٤]

(وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ)أرض الجنة

(نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ)

ننزل منها أي مكان شئنا، و نتناول منها أي نعيم أردنا،ليس ممنوعا عنا شيء نريده

(فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ)الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع،فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا(٧٤)

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ
وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة غافر-بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ
وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ) أيها الرائي ذلك اليوم العظيم(حَآفِّينَ)محيطين(مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ)

أي: قد قاموا في خدمة ربهم، و اجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله.

(يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون و ما لم ينسبوا.

(وَقُضِىَ بَيْنَهُم)بين الأولين و الآخرين من الخلق(بِٱلْحَقِّ)الذي لا اشتباه فيه و لا إنكار، ممن عليه الحق

(وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)لم يذكر القائل من هو [بَلْ أَطْلَقَهُ] ليدل ذلك على :-

أن جميع الخلق-نَاطِقِهِ وَ بَهِيمِهِ- نطقوا بحمد ربهم و حكمته على ما قضى به على أهل الجنة و أهل النار

حمـــــــد:-فضـــــــل و إحســـــــان و حمـــــــد:-عـــــدل و حكمـــــة.

***قَالَ قَتَادَةُ: افْتَتَحَ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:-{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ} [الْأَنْعَامِ:١]

وَ اخْتَتَمَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ:{وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

(حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ)

يخبر تعالى عن كتابه العظيم و بأنه صادر و منزل من الله، المألوه المعبود، لكماله و انفراده بأفعاله،

(ٱلۡعَزِيزِ)الذي قهر بعزته كل مخلوق(ٱلۡعَلِيمِ)بكل شيء۝٢

(غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ) للمذنبين

(وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ)من التائبين،(شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ)على من تجرأ على الذنوب و لم يتب منها،

(ذِي ٱلطَّوۡلِۖ)التفضل و الإحسان الشامل

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)لَا نَظِيرَ لَهُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ)الْمَرْجِعُ ۝٣

(مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)يخبر تبارك و تعالى أنه ما يجادل في آياته

(إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)و المـــــراد بالمجــــــادلة هنــــــا:-

المجــــــادلة لرد آيات الله و مقابلتهــــــا بالباطل، فهذا من صنيع الكفار،

(فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ)فِي أَمْوَالِهِمْ وَ نَعِيمِهَا وَ زَهْرَتِهَا-ترددهم فيها بأنواع التجارات و المكاسب،

و يزن بها الناس،و لا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم و لا عقل له. ۝٤

(كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ)وَ هُوَ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثه اللَّهُ يَنْهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،

(وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ)من كل أمة ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها،

(و) أنه بلغت بهم الحال، و آل بهم التحزب إلى أنه(وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ)من الأمم(بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ)

يقتلـــــوه حَرَصُوا عَلَى قَتْلِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ رَسُولَهُ

(وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ)مَاحَلُوا بِالشُّبْهَةِ (لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ)لِيَرُدُّوا الْحَقَّ الْوَاضِحَ الْجَلِيَّ.

❍و لهذا قال في عقوبتهم الدنيوية و الأخروية:-

(فَأَخَذۡتُهُمۡۖ)أَهْلَكْتُهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ هَذِهِ الْآثَامِ وَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ أي: بسبب تكذيبهم و تحزبهم

(فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ)فكيف كان عقابي إياهم عبرة للخلق و عظة لمن يأتي بعدهم؟

❍كان أشد العقاب و أفظعه،ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم،

أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون۝٥

(وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ)

كما حقت على أولئك،حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب

و لهذا قال: (أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ)
كَمَا حقَّتْ كلمةُ الْعَذَابِ عَلَى الَّذِينَ كَفرُوا مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِكَذَلِكَ حَقَّتْ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ وَ خَالَفُوكَ يَا مُحَمَّدُ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى ٦

(ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ)عرش الرحمن،الذي هو سقف المخلوقات و أعظمها و أوسعها و أحسنها و أقربها من الله

(وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ) من الملائكة المقربين في المنزلة و الفضيلة(يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ)
يَقْرِنُونَ بَيْنَ التَّسْبِيحِ الدَّالِّ عَلَى نَفْيِ النَّقَائِصِ،وَ التَّحْمِيدِ الْمُقْتَضِي لِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْمَدْحِ
هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم للّه تعالى، و خصوصًا التسبيح و التحميد،و سائر العبادات تدخل في تسبيح الله و تحميده،لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره،و حمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة للّه تعالى،

(وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ)خَاشِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ

(وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ)مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِمَّنْ آمَنَ بِالْغَيْبِ فَقَيَّضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَدْعُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، وَ لَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ سَجَايَا الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ،
كَانُوا يُؤَمِّنُونَ عَلَى دُعَاءِ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
٢٧٣٢-قال النبى ﷺ:-إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ:- آمِينَ وَ لَكَ بِمِثْلِهِ.

(رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا)فعلمك قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية،
و لا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، و لا أصغر من ذلك و لا أكبر،
و رحمتك وسعت كل شيء فالكون علويه و سفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى و وسعتهم و وصل إلى ما وصل إليه خلقه.

(فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ) من الشرك و المعاصي

(وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ) باتباع رسلك، بتوحيدك و طاعتك

(وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ)قهم العذاب نفسه، و قِهم أسباب العذاب٧

رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ
أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ
فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ
وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾
يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ)على ألسنة رسلك(وَمَن صَلَحَ)بالإيمان و العمل الصالح (مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ)زوجاتهم و أزواجهن و أصحابهم و رفقائهم(وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ)أولادهم (إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ)القاهر لكل شيء،فبعزتك تغفر ذنوبهم،و تكشف عنهم المحذور،و توصلهم بها إلى كل خير(ٱلۡحَكِيمُ)الذي يضع الأشياء مواضعها﴿٨﴾

(وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ)الأعمال السيئة و جزاءها، لأنها تسوء صاحبها.(وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ)يوم القيامة (فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ)لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد،لا يمنعها إلا ذنوب العباد و سيئاتهم، فمن وقيته السيئات وفقته للحسنات و جزائها الحسن(وَذَٰلِكَ)زوال المحذور بوقاية السيئات،و حصول المحبوب بحصول الرحمة(هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)الذي لا فوز مثله﴿٩﴾

○يخبر تعالى عن الفضيحة و الخزي الذي يصيب الكافرين، و سؤالهم الرجعة،و الخروج من النار، و امتناع ذلك عليهم و توبيخهم، فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من :- الكفر بالله،أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون النار، و يقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب و الأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت،و يغضبون عليها غاية الغضب،

(يُنَادَوْنَ)يناديهم خزنة جهنم:-(لَمَقْتُ ٱللَّهِ)لكم في الدنيا -حين طلب منكم الإيمان به و اتباع رسله،

فأبيتم(أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ)بغضكم (أَنفُسَكُمْ)الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله و عذابه.

(إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ)﴿١٠﴾

و (قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ)يريدون الموتة الأولى و ما بين النفختين على ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم،

ثم أماتهم بعدما أوجدهم،(وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ)الحياة الدنيا و الحياة الأخرى-هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الْبَقَرَة: ٢٨]

(فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)

فهل لنا من طريق نخرج به من النار،و تعيدنا به إلى الدنيا لنعمل بطاعتك؟

○أي: تحسروا و قالوا ذلك، فلم يفد و لم ينجع،و وبخوا على عدم فعل أسباب النجاة﴿١١﴾

فقيل لهم:-(ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ)لتوحيده، و إخلاص العمل له، و نهي عن الشرك به

(كَفَرْتُمْ)به و اشمأزت لذلك قلوبكم و نفرتم غاية النفور

(وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟)و إن يُجْعل لله شريك تُصَدِّقوا به و تتبعوه.

(فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ)الذي له العــلو المطلــق من جميــع الوجــوه:-

١-علو الـــذات٢-و علو القـــدر٣-و علو القهـــر

و مـن علو قـدره:-١-كمـال عدله تعالى٢-و أنه يضع الأشياء مواضعها، و لا يساوي بين المتقين و الفجار.

(ٱلْكَبِيرِ)الذي له الكبرياء و العظمة و المجد فـي:-أسمائه و صفاته و أفعاله المتنزه عن كل آفة و عيب﴿١٢﴾

(هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا)مطرًا به ترزقون و تعيشون أنتم و بهائمكم

(وَمَا يَتَذَكَّرُ) بالآيات حين يذكر بها

(إِلَّا مَن يُنِيبُ) إلى الله تعالى، بـالإقبال على محبته و خشيته و طاعته و التضرع إليه

فهذا الذي ينتفع بالآيات، و تصير رحمة في حقه و يزداد بها بصيرة﴿١٣﴾

○و لما كانت الآيات تثمر التذكر، و التذكر يوجب الإخلاص للّه رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على

السببية فقال: (فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)

و هـــذا شـــامـــل لـــ:-١-دعاء العبـــادة ٢-و دعاء المســألة

و الإخـــلاص معنـــاه:-تخليص القصد للّه تعالى في جميع العبادات الواجبة و المستحبة،

(حقوق الله و حقوق عباده) أي: أخلصوا للّه تعالى في كل ما تدينونه به و تتقربون به إليه.

(وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ)لذلك، فلا تبالوا بهم، و لا يثنكم ذلك عن دينكم، و لا تأخذكم بالله لومة لائم،

فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة ١٤

ثم ذكر من جلاله و كماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال:-(رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ)

و ارتفعت درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، و ارتفع به قدره،و جلت أوصافه، و تعالت ذاته،أن يتقرب إليه

إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر،و هو الإخلاص،الذي يرفع درجات أصحابه و يقربهم إليه و يجعلهم فوق خلقه

(ذُو ٱلۡعَرۡشِ)

أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش و اختص به،ثم ذكر نعمته على عباده بالرسالة و الوحي، فقال:-

(يُلۡقِي ٱلرُّوحَ)الوحي الذي للأرواح و القلوب بمنزلة الأرواح للأجساد

فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا و لا يعيش،فـــالروح و القلب بدون روح الوحي لا يصلح و لا يفلح،

فهو تعالى (يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ) الذي فيه نفع العباد و مصلحتهم

(عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ)و هم الرسل الذين فضلهم الله و اختصهم الله لوحيه و دعوة عباده.

و الفائدة فى إرســال الرســـل، هــــو:-

١-تحصيل سعادة العباد في دينهم و دنياهم و آخرتهم٢-و إزالة الشقاوة عنهم في دينهم و دنياهم و آخرتهم،

(لِيُنذِرَ)من ألقى الله إليه الوحي يخوف العباد بذلك،و يحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه

(يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ)يلتقي فيه الخالق و المخلوق و المخلوقون بعضهم مع بعض و العاملون و أعمالهم و جزاؤه ١٥

(يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ)ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج و لا أمت فيه

(لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ)لا من ذواتهم و لا من أعمالهم، و لا من جزاء تلك الأعمال.

(لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ)من هو المالك لذلك (ٱلۡيَوۡمَ) ؟العظيم الجامع للأولين و الآخرين،

الملك (لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ)المنفرد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله،فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه.

(ٱلۡقَهَّارِ)لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات و ذلت و خضعت خصوصًا في ذلك اليوم الذي عنت

فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه ١٦

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾
وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾
يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ
وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

(ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ)في الدنيا، من خير و شر، قليل و كثير

(لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ)على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته

(إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت و كل آت قريب

و هو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة(يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً)﴿١٧﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:-(وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ)يَوْمِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَابِهَا

(إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ)

قد ارتفعت و بقيت أفئدتهم هواء،و وصلت القلوب من الروع و الكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم.

(كَٰظِمِينَۚ)سَاكِتِينَ-لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صوابا

(مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ)قريب و لا صاحب

(وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ)يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك،و لو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم،

فلا يقبلها.بَلْ قَدْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ﴿١٨﴾

(يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ)و هو النظر الذي يخفيه العبد من جليسه و مقارنه، و هو نظر المسارقة،

(وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ)مما لم يبينه العبد لغيره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي ١٩

فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى و أحرى.

(وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ)

بالعدل–لأن قـــــوله حق،و حكمه الشـــرعى حق،و حكمه الجـــزائى حق

(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ)

و هذا شامل لكل ما عبد من دون الله [مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَوْثَانِ وَ الْأَنْدَادِ]

(لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ)

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ–لعجزهم و عدم إرادتهم للخير و استطاعتهم لفعله.

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات.

(ٱلۡبَصِيرُ)بما كان و ما يكون،و ما نبصر و ما لا نبصر، و ما يعلم العباد و ما لا يعلمون ٢٠

(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)بقلوبهم و أبدانهم سير نظر و اعتبار، و تفكر في الآثار

(فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ)من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب،

عـــــاقبـــــة:–الهـــــلاك و الدمـــــار و الخـــــزى و الفضيحـــــة

(كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ)و قد كانوا أشد قوة من هؤلاء في الْعَدَد و الْعُدَد و كبر الأجسام.

(و) أشد (وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

من البناء و الغرس، و قوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها و على تمنعه بها.

وَ مَعَ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ وَ الْبَأْسِ الشَّدِيدِ :-

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ) بعقوبتــــــه(بِذُنُوبِهِمۡ)حين أصروا و استمروا عليها-و هِيَ كُفْرُهُمْ بِرُسُلِهِمْ

(وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ)وَ مَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَحَدٌ، وَ لَا رَدَّهُ عَنْهُمْ رَادٌّ، وَ لَا وَقَاهُمْ وَاقٍ ٢١

ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ أَخْذِهِ إِيَّاهُمْ وَ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا وَ اجْتَرَمُوهَا فَقَالَ:–

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ)مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَ الْبُرْهَانِ كَفَرُوا وَ جَحَدُوا

(فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ)أَهْلَكَهُمْ و دمّر عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

(إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)عِقَابُهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَجِيعٌ. أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ.

فلم تغن قوتهم عند قوة اللّه شيئًا، بل من أعظم الأمم قوة،قوم عاد الذين قـــالـــوا:–(مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً)

أرسل اللّه إليهم ريحا أضعفت قواهم، و دمرتهم كل تدمير ﴿٢٢﴾

ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسل و هو فرعون و جنوده فقال: -

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا)إلى جنس هؤلاء المكذبين (مُوسَىٰ) ابن عمران(بِـَٔايَـٰتِنَا)العظيمة، الدالة دلالة قطعية،

على حقية ما أرسل به،و بطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك و ما يتبعه

(وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ)

حجة بينة، تتسلط على القلوب فتذعن لها كالحية و العصا و نحوهما من الآيات البينات،

التي أيد الله بها موسى، و مكنه مما دعا إليه من الحق و المبعوث إليهم ﴿٢٣﴾

(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ)مَلِكُ الْقِبْطِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ(وَهَـٰمَـٰنَ)وزيره(وَقَـٰرُونَ)وَ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِ مَالًا وَ تِجَارَةً

(فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ)كَذَّبُوهُ وَ جَعَلُوهُ سَاحِرًا مُمَخْرِقًا مُمَوِّهًا كَذَّابًا فِي أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ ﴿٢٤﴾

(فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا)و أيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإذعان، لم يقابلوها بذلك،

و لم يكفهم مجرد الترك و الإعراض،بل و لا إنكارها و معارضتها بباطلهم،بل وصلت بهم الحال الشنيعة

إلى أن(قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ)

***وَ هَذَا أَمْرٌ ثَانٍ مِنْ فِرْعَوْنَ بِقَتْلِ ذُكُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

أَمَّـــــا الْأَوَّلُ:- فَكَانَ لِأَجْلِ الِاحْتِرَازِ مِنْ وُجُودِ مُوسَى،

الثَّـــــانِي:-أَوْ لِإِذْلَالِ هَذَا الشَّعْبِ وَ تَقْلِيلِ عَدَدِهِمْ، أَوْ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ.

وَ أَمَّا الْأَمْــرُ الثَّانِي:-فَلِلْعِلَّةِ الثَّانِيَةِ، لِإِهَانَةِ هَذَا الشَّعْبِ،

وَ لِكَيْ يَتَشَاءَمُوا بِمُوسَى عليه السلام وَ لِهَذَا قَالُـــوا:-{أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ

يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[الْأَعْرَاف: ١٢٩]

(وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ)

الَّذِي هُوَ تَقْلِيلُ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِئَلَّا يُنصروا عَلَيْهِمْ

(إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ)

ذَاهِبٌ وَ هَالِكٌ حيث لم يتم لهم ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله و أبادهم عن آخرهم ﴿٢٥﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ
ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾
وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا
مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾
وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾
يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ)متكبرًا متجبرًا مغررًا لقومه السفهاء:-(ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ)
زعم أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله،و أنه لا يمنعه من دعاء ربه،
ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، و أنه نصح لقومه، و إزالة للشر في الأرض

فقال:-(إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ)الذي أنتم عليه(أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ)
و هذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق
هذا من التمويه و الترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم:-

(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)﴿٢٦﴾

(وَقَالَ مُوسَىٰٓ)حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه،
و استعان فيها بقوته و اقتداره،مستعينًا بربه:-

(إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم)أيها المخاطبون أي:-امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور

(مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ)عن الحق مجرم(لَّا يُؤْمِنُ)يحمله تكبره و عدم إيمانه

(بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ)على الشر و الفساد،يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبًا في القاعدة،

فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿٢٧﴾

(وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ)

و قيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون و ملئه

و من جملة الأسباب:–هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة لا بد أن يكون له كلمة مسموعة–فَأَخَذَتِ الرَّجُلَ غَضْبَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ-فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم مقبحًا فعل قومه،و شناعة ما عزموا عليه:–

(أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا)كيف تستحلون قتله(أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ)و لم يكن أيضا قولا مجردًا عن البينات،

و لهذا قال:–(وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ)لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارًا علم به الصغير و الكبير

❍ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأي حالة قدرت–تَنزل مَعَهُمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ

فمـــــوسى بيـــن أمــــرين:–

الاول:–(وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ)إما كاذب في دعواه أو صادق فيها،

فإن كان كاذبًا فكذبه عليه، و ضرره مختص به و ليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته و تصديقه،

الثاني:–(وَإِن يَكُ صَادِقًا) و قد جاءكم بالبينات(يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ)و هو عذاب الدنيا.

و هذا من حسن عقله، و لطف دفعه عن موسحيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم،

و جعل الأمر دائرًا بين تينك الحالتين،و على كل تقدير فقتله سفه و جهل منكم.

❍ثم انتقل رضي الله عنه و أرضاه و غفر له و رحمه – إلي أمر أعلى من ذلك،

و بيان قرب موسى من الحق فقال:–

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ)متجاوز الحد بترك الحق و الإقبال على الباطل.

(كَذَّابٌ)بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله و لا في دليله،

و لا يوفق للصراط المستقيم ﴿٢٨﴾

ثم حذر قومه و نصحهم، و خوفهم عذاب الآخرة، و نهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر،فقال:–

(يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ)في الدنيا (ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ)على رعيتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير،

فهبكم حصل لكم ذلك و تم، و لن يتم،(فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ)عــــــذابه

(إِن جَآءَنَا)؟ و هذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركًا بينه و بينهم بقوله:–

فــــــ(قَالَ فِرْعَوْنُ)معارضًا له في ذلك، و مغررًا لقومه أن يتبعوا موسى:

(مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ)مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أُشِيرُ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَاهُ لِنَفْسِي وَ قَدْ كَذَبَ فِرْعَوْنُ،

فَإِنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ صِدْقَ مُوسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ - فإن هذا قلب للحق

(وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ)الْحَقِّ وَ الصِّدْقِ وَ الرُّشْدِ ﴿٢٩﴾

(وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ)مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى،

لا يزالون يدعون إلى ربهم، و لا يردهم عن ذلك راد،و لا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة

فقال لهم:–(يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ)يعنى الأمم المكذبين الذين تحزبوا على أنبيائهم﴿٣٠﴾

ثم بينهم فقال:–(مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ)

أي: مثل عادتهم في الكفر و التكذيب و عادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة

(وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ)فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، و لا جرم أسلفوه﴿٣١﴾

○و لما خوفهم العقوبات الدنيوية خوفهم العقوبات الأخروية فقال:–(وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ)

أي: يوم القيامة،

حين ينادي أهل الجنة أهل النار:–(أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا) [الاعراف:٤٤]

و حين ينادي أهل النار:-(مالكًا لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)فيقول:–(إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)

و حين ينادون ربهم:-(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)فيجيبهم:-(اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)

و حين يُقال للمشركين:– (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ)

فخوفهم﷛هذا اليوم المهول، و توجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك﴿٣٢﴾

و لهذا قال: (يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ)ذاهبين هاربين○أي:–قد ذهب بكم إلى النار

(مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ)من مانع يمنعكم و ناصر ينصركم من عذاب الله

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ)

لأن الهدى بيد الله تعالى،فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ
أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ)بن يعقوب عليهما السلام(مِن قَبْلُ)إتيان موسى(بِٱلْبَيِّنَٰتِ)الدالة على صدقه،

و أمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له–فَمَا أَطَاعُوهُ تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَّا لِمُجَرَّدِ الْوِزَارَةِ وَ الْجَاهِ الدُّنْيَوِيِّ

(فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ)في حياته

(حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ)*مات (ازداد شككم و شرككم)-يَئِسْتُمْ فَقُلْتُمْ طَامِعِينَ

(قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ)

أي: هذا ظنكم الباطل، و حسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى،

فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم و ينهاهم،و يرسل إليهم رسله،و ظن أن الله لا يرسل رسولاً ظن ضلال

و لهذا قال:–(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ)

و هذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلمًا و علوا،

فهم المسرفون بتجاوزهم الحق و عدولهم عنه إلى الضلال،و هم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله،

و كذبوا رسوله فالذي وصفه السرف و الكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، و لا يوفقه للخير،

لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه و عرفه،

فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى(مُّرْتَابٌ)ارتياب قلبه-شاكٍّ في وحدانية الله تعالى﴿٣٤﴾

○ثم ذكر وصف المسرف الكذاب فقال:-(ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ) التي بينت الحق من الباطل،

و صارت – من ظهورها– بمنزلة الشمس للبصر،فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها و يبطلوها

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ)بغير حجة و برهان،و هذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله

فإنه من المحال أن يجادل بسلطان،لأن الحق لا يعارضه معارض فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي

أصلا (كَبُرَ)ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل

(مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ)

فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق و التصديق بالباطل و نسبته إليه،

و هذه أمور يشتد بغض الله لها و لمن اتصف بها و كذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت

موافقة لربهم،و هؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه،

***وَ الْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبغضُون مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتَهُ فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ،

(كَذَٰلِكَ)كما طبع على قلوب آل فرعون

(يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ)يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ،فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَ لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا

(مُتَكَبِّرٍ)في نفسه على الحق برده و على الخلق باحتقارهم،

(جَبَّارٍ)بكثرة ظلمه و عدوانه٣٥

(وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ)معارضًا لموسى و مكذبًا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين الذي على العرش استوى و على

الخلق اعتلى:–(يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا)

بناء عظيمًا مرتفعًا-الْقَصْرُ الْعَالِي الْمُنِيفُ الشَّاهِقُ.وَ كَانَ اتِّخَاذُهُ مِنَ الْآجُرِّ الْمَضْرُوبِ مِنَ الطِّينِ الْمَشْوِيِّ

كَمَا قَال:-{فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا}[الْقَصَصِ: ٣٨]

(لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)أبْوَابَ السموات-و قيل:-طرق السَّمَوَاتِ

(فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا)في دعواه أن لنا ربًا، و أنه فوق السماوات.

و لكنه يريد أن يحتاط فرعون، و يختبر الأمر بنفسه،قال الله تعالى في بيان الذي حمله على هذا القول:–

(وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ)

فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه و هو يدعو إليه و يحسنه،حتى رآه حسنًا و دعا إليه و ناظر

مناظرة المحقين،و هو من أعظم المفسدين،(وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ)الحق، بسبب الباطل الذي زين له

(وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ)الذي أراد أن يكيد به الحق، و يوهم به الناس أنه محق، و أن موسى مبطل

(إِلَّا فِي تَبَابٍ)أي: خسار و بوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا و الآخرة٣٧

(وَقَالَ الَّذِي آمَنَ)معيدًا نصيحته لقومه:-

(يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ)لا كما يقول لكم فرعون فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي و الفساد٣٨

(يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ)

يتمتع بها و يتنعم قليلا ثم تنقطع و تضمحل،فلا تغرنكم و تخدعنكم عما خلقتم له

(وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)

التي هي محل الإقامة و منزل السكون و الاستقرار فينبغي لكم أن تؤثروها، و تعملوا لها عملا يسعدكم فيها٣٩

(مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً)من شرك أو فسوق أو عصيان

(فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا)لا يجازى إلا بما يسوؤه و يحزنه لأن جزاء السيئة السوء.

(وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)من أعمال القلوب و الجوارح، و أقوال اللسان

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ)بالله موحد له(فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

أي: يعطون أجرهم بلا حد و لا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم٤٠

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ
وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ
لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا
وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا
نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

(وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ) بما قلت لكم (وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ)بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام ﴿٤١﴾

ثم فسر ذلك فقال:(تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ) أنه يستحق أن يعبد من دون الله، و القول على الله بلا علم من أكبر الذنوب و أقبحها،

(وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ)الذي له القوة كلها، و غيره ليس بيده من الأمر شيء

(ٱلْغَفَّٰرِ)الذي يسرف العباد على أنفسهم و يتجرؤون على مساخطه ثم إذا تابوا و أنابوا إليه، كفر عنهم السيئات و الذنوب، و دفع موجباتها من العقوبات الدنيوية و الأخروية.﴿٤٢﴾

(لَا جَرَمَ)أي:–حقًا يقينًا(أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ)أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به

(لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ)لا يستحق من الدعوة إليه، و الحث على اللجأ إليه،

(فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ)لعجزه و نقصه،و أنه لا يملك نفعًا و لا ضرًا و لا موتًا و لا حياة، و لا نشورًا.

(وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ) تعالى فسيجازي كل عامل بعمله.(وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ)

و هـــم الذيـــن أسرفـــوا على أنفسهـــم بـــــ:–

١–التجـــــرؤ على ربهم بمعاصيه

٢–و الكفـــــر به، دون غيرهم.

(هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ)﴿٤٣﴾

فلما نصحهم و حذَّرهم و أنذرهم و لم يطيعوه و لا وافقوه قال لهم:(فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ)
من هذه النصيحة، و سترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، و تحرمون جزيل الثواب.

(وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ)ألجأ إليه و أعتصم، و ألقي أموري كلها لديه،
و أتوكل عليه في مصالحي و دفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

(إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ)
يعلم أحوالهم و ما يستحقون،يعلم حالي و ضعفي فيمنعنى منكم و يكفينى شركم،
و يعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته و مشيئته فإن سلطكم عليّ،
فبحكمة منه تعالى، و عن إرادته و مشيئته صدر ذلك﴿٤٤﴾

(فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ)وقى الله القويّ الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق،
عقوبات ما مكر فرعون و آل له، مـــــن :–إرادة إهلاكـــــــه و إتلافـــــــه،
لأنه بادأهم بما يكرهون، و أظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام و دعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى،

(وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ)أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم﴿٤٥﴾

و في البـــــــرزخ :–(ٱلنَّارُ)ثم يُعذَّبون في قبورهم حيث النار(يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا)صباحًا

(وَعَشِيّٗاۖ)و مساء إلى وقت الحساب (وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ)يقال: أدخلوا آل فرعون

(أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ)النار-جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء و هذه الآية أصل في إثبات عذاب القبر﴿٤٦﴾

○فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسل الله، المعاندين لأمره.
يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار،و عتاب بعضهم بعضًا و استغاثتهم بخزنة النار، و عدم الفائدة في ذلك

فقال:–(وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ)يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، و يتبرأ المتبوعون من التابعين

(فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ)الأتباع للقادة (لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ)على الحق، و دعوهم إلى ما استكبروا لأجله.

(إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا)أنتم أغويتمونا و أضللتمونا و زينتم لنا الشرك و الشر

(فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ)و لو قليلا

(قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ)مبينين لعجزهم و نفوذ الحكم الإلهي في الجميع:–

(إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ) لا نتحمل عنكم شيئًا من عذاب النار، و كلُّنا فيها، لا خلاصَ لنا منها،

(إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ)

و جعل لكل قسطه من العذاب،فلا يزاد في ذلك و لا ينقص منه، و لا يغير ما حكم به الحكيم.

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ) من المستكبرين و الضعفاء

(لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ)لعله تحصل بعض الراحة.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١
يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ
وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨

فــــــ(قَالُوٓاْ)لهم موبخين و مبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، و دعاءهم لا يفيدهم شيئًا:-

(أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ)التي تبينتم بها الحق و الصراط المستقيم، و ما يقرب من الله و ما يبعد منه؟ قد جاءونا بالبينات، و قامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا و عاندنا الحق بعد ما تبين.

(قَالُواْ)أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم و الشفاعة:-

(فَٱدۡعُواْۗ)أنتم و لكن هذا الدعاء هل يغني شيئا أم لا؟

(وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ)

أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صادّ لإجابة الدعاء-لَا يُتَقَبَّلُ وَ لَا يستجاب٥٠

لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، و البرزخ، و يوم القيامة،و ذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله و حاربوهم، قال:-

(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

بالحجة و البرهان و النصر، في الآخرة بالحكم لهم و لأتباعهم بالثواب،

و لمن حاربهم بشدة العقاب

***قَدْ أَوْرَدَ بْنُ جرِيرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعالَى:-{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} سُؤَالًا فَقَالَ: -
قَدْ عُلِم أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِياءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَ السَّلامُ،قَتَلَهُ قَوْمُهُ بِالْكُلِّيَّة كَيَحْيَى وَ زَكَرِيَّا وَ شَعْيَاءَ،
وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِمَّا مُهاجِرًا كَإِبْرَاهِيمَ وَ إِمَّا إِلَى السَّمَاءِ كَعِيسَى فَأَيْنَ النُّصْرَةُ فِي الدُّنْيَا؟

ثُمَّ أَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِجَوَابَيْــــنِ :-
أَحَدُهُمَا:-أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ خَرَجَ عَامًّا، وَ الْمُرَادُ بِهِ الْبَعْضُ،قَالَ: وَ هَذَا سَائِغٌ فِي اللُّغَةِ.
الثَّانِي:-أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّصْرِ الِانْتِصَارُ لَهُمْ مِمَّنْ آذَاهُمْ،وَ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَتِهِمْ أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ

(وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ)الْمَلَائِكَةُ-أو-يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَكُونُ النُّصْرَةُ أَعْظَمَ وَ أَكْبَرَ وَ أَجَلَّ ﴿٥١﴾

(يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ)و هم المشركون(مَعْذِرَتُهُمْ)حين يعتذرون-لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ عُذْرٌ وَ لَا فِدْيَةٌ

(وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)السيئة التي تسوء نازليها—هى النَّارُ- بِئْسَ الْمَنْزِلُ وَ الْمَقِيلُ-سُوءُ الْعَاقِبَةِ﴿٥٢﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى)لما ذكر ما جرى لموسى و فرعون، و ما آل إليه أمر فرعون و جنوده

ثم ذكر الحكم العام الشامل له و لأهل النار،ذكر أنه أعطى موسى(ٱلْهُدَىٰ)الآيات، و العلم الذي يهتدي به.

(وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ)أي: جعلناه متوارثًا بينهم، من قرن إلى آخر، و هو التوراة﴿٥٣﴾

و ذلك الكتاب مشتمل على الــــ(هُدًى):—هو العلـــــم بالأحكـــــام الشرعيـــــة و غيرها،

(وَذِكْرَىٰ) أى:التذكر للخير بالترغيب فيه، و عن الشر بالترهيب عنه،و ليس ذلك لكل أحد،

و إنما هو (لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ)الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ السَّلِيمَةُ﴿٥٤﴾

(فَٱصْبِرْ) يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)أي: ليس مشكوكًا فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر،
و إنما هو الحق المحض، و الهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون،و يجتهد في التمسك به أهل البصائر.
***وَعَدْنَاكَ أَنَّا سَنُعْلِي كَلِمَتَكَ، وَ نَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لَكَ وَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ،
وَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ. وَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَاكَ بِهِ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَ لَا شَكَّ.

فقوله:—(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)من الأسباب التي تحث على الصبر على طاعة الله و عن ما يكره الله.

(وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ) المـــــانع لك من تحصيل فوزك و سعادتك،

فـــأمره بــــــ:—١—الصبـــر الذي فيه يحصل المحبوب،٢—و بالاستغفـــار الذي فيه دفع المحـــــذور

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) و بالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصا

(بِٱلْعَشِىِّ)فِي أَوَاخِرِ النَّهَارِ وَ أَوَائِلِ اللَّيْلِ(وَٱلْإِبْكَـٰرِ)وَ هِيَ أَوَائِلُ النَّهَارِ وَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ.اللذين هما أفضل الأوقات،و فيهما من الأوراد و الوظائف الواجبة و المستحبة ما فيهما لأن في ذلك عونًا على جميع الأمور﴿٥٥﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ)يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل،

(بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ)بينة من أمره و لا حجة

(أَتَىٰهُمۡ إِن)مَا(فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ)عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَ احْتِقَارٌ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِ،

إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق و على من جاء به،

يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل،فهذا قصدهم و مرادهم. و لكن هذا لا يتم لهم

(مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ)و ليسوا ببالغيه،

فهذا نص صريح، و بشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب،و كل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل.

(فَٱسۡتَعِذۡ) أي: اعتصم و الجأ(بِٱللَّهِ) و لم يذكر ما يستعيذ، إرادة للعموم

أي:–استعذ بالله من:–الكبر الذي يوجب التكبر على الحق

و استعذ بالله من:–شياطين الإنس و الجن، و استعذ بالله من:–جميع الشرور.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات على اختلافها

(ٱلۡبَصِيرُ)بجميع المرئيات، بأي محل و موضع و زمان كانت ٥٦

يخبر تعالى بما تقرر في العقول (لَخَلۡقُ) أن خلق(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)على عظمهما و سعتهما– أعظم

و (أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ) فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات و الأرض من أصغر ما يكون

فالذي خلق الأجرام العظيمة و أتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى و أحرى.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ)و لذلك لا يعتبرون بذلك، و لا يجعلونه منهم على بال ٥٧

(وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ) أي: كما لا يستوي الأعمى و البصير

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)كذلك لا يستوي من آمن بالله و عمل الصالحات

(وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ)و كذلك لا يستوى من كان مستكبرًا على عبادة ربه، مقدمًا على معاصيه، ساعيًا في مساخطه،

(قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ)تذكركم قليل

و إلا فلو تذكرتم مراتب الأمور،و منازل الخير و الشر

و الفرق بين الأبرار و الفجار و كانت لكم همة عليه

لآثرتم:–النافع على الضار، و الهدى على الضلال،

و السعادة الدائمة على الدنيا الفانية ٥٨

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ
أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا
وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

(إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ)لكائنة واقعة (لَّا رَيۡبَ فِيهَا)قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق و نطقت بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى مراتب الصدق، و قامت عليها الشواهد المرئية، و الآيات الأفقية.

(وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ) لا يصدقون بها بـــــل يكذبون بها﴿٥٩﴾

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ)هذا من لطفه بعباده، و نعمته العظيمة،حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم و دنياهم،و أمـــرهـــم بدعـــائه:-١-دعاء العبـــادة٢-و دعاء المســـألة و وعدهم أن يستجيب لهم، و توعد من استكبر عنها فقال:-

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)ذليلين حقيرين،

***هَذَا مِنْ فَضْلِه، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَ كَرَمِه أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِه وَ تَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ،
كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ:-يَا مَنْ أَحبُّ عِبَادِه إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ
وَ يَا مَنْ أَبْغَض عِبَادِه إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَ لَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرَكَ يَا رَبِّ.

سنن أبي داود٤٧٩ -عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ
{قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]

*** مسند أحمد ط الرسالة ٦٦٧٧ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-
يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ،يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ،
حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ،

يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ﴿٦٠﴾

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ)لأجلكم جعل الله الليل مظلمًا،(لِتَسْكُنُواْ فِيهِ)من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، و يلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب و البدن،

و هو من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، و يسكن أيضًا، كل حبيب إلى حبيبه، و يجتمع الفكر، و تقل الشواغل.

(و) جعل تعالى (وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ)مضيئا—منيرًا بالشمس المستمرة في الفلك،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ)عظيم، كما يدل عليه التنكير(عَلَى ٱلنَّاسِ)حيث أنعم عليهم بهذه النعم و غيرها، و صرف عنهم النقم،و هذا يوجب عليهم، تمام شكره و ذكره

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)بسبب جهلهم و ظلمهم.(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) الــــــذين :-

١-يقــــــرون بنعمة ربهم٢-و يخضعــــون للّه٣-و يحبــــــونه٤-و يصرفونهــــا في طاعة مولاهم ﴿٦١﴾

(ذَٰلِكُمُ)الذي فعل ما فعل(ٱللَّهُ رَبُّكُمْ)المنفرد بالإلهية، و المنفرد بالربوبية،

لأن انفراده بهذه النعم، من ربوبيته، و إيجابها للشكر، من ألوهيته،

(لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ)تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له،

(خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ)تقرير لربوبيته.ثم صرح بالأمر بعبادته فقال: –

(فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ)كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل،و أنار لكم السبيل؟ ﴿٦٢﴾

(كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ)أي: عقوبـــــــة على:-

١-جحدهم لآيات الله٢-و تعديهم على رسله،

صُرِفُـــــــوا عن التوحيـــــــــد و الإخــــــلاص، كما قال تعالى:-

(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)

***كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، كَذَلِكَ أُفِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ،فَعَبَدُوا غَيْرَهُ بِلَا دَلِيلٍ وَ لَا بُرْهَانٍ بَلْ بِمُجَرَّدِ الْجَهْلِ وَ الْهَوَى،وَ جَحَدُوا حُجَجَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ. ﴿٦٣﴾

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا)قارة ساكنة، مهيأة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها و غرسها و البناء عليها، و السفر، و الإقامة فيها.

(وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً) سقفًا للأرض، التي أنتم فيها،قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار و العلامات،

التي يهتدى بها في ظلمات البر و البحر

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)فخَلَقَكُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَشْكَالِ،وَ مَنحَكُمْ أَكْمَلَ الصُّورِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ،

فليس في جنس الحيوانات،أحسن صورة من بني آدم كقوله:-(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمِ)

و إذا أردت أن تعرف حسن الآدمي و كمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه، عضوًا عضوًا،

هل تجد عضوًا من أعضائه، يليق به،و يصلح أن يكون في غير محله؟

(وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ)

و هـــــذا شــــامل لكـــــل طيـــــب مـــــن:-

مأكل، و مشرب، و منكح، و ملبس، و منظر، و مسمع، و غير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده،

و يسر لهم أسبابها،و منعهم من الخبائث، التي تضادها، و تضر أبدانهم، و قلوبهم، و أديانهم،

(ذَٰلِكُمُ) الذي دبر الأمور، و أنعم عليكم بهذه النعم (ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ)

أي: تعاظم، و كثر خيره و إحسانه(رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ)المربي جميع العالمين بنعمه. ﴿٦٤﴾

(هُوَ ٱلْحَيُّ) الذي له الحياة الكاملة التامة،المستلزمة لما تستلزمه من صفاته الذاتية التي لا تتم حياته إلا بها،

مـــن:-صفـــات كماله و نعـــوت جلاله. كـ:-السمع، و البصر، و القدرة، و العلم، و الكلام و غير ذلك

(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)لا معبـــــــود بحــــــق، إلا وجهه الكريم-لَا نَظِيرَ لَهُ وَ لَا عَدِيلَ لَهُ،

(فَٱدْعُوهُ)و هـــــذا شـــــامل لـــــــ:-١-دعاء العبــــــادة٢-و دعاء المســـــألة

(مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)اقصدوا بكل عبادة و دعاء و عمل، وجه الله تعالى،

فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى:-(وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)جميع المحامد و المدائح و الثناء،بالقـــــول :-كــــــنطق الخلق بذكــــــره،

و الفعـــــل:-كـــــعبادتهم لـــــه،كــــل ذلك للّه تعالى وحـــــــده لا شريك له لـــــ:-

كماله في أوصــــــافه و أفعـــــاله، و تمـــــام نعمه﴿٦٥﴾

(قُلْ) يا أيها النبي(إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ)

من الأوثان و الأصنام، و كل ما عبد من دون الله. و لست على شك من أمري، بل على يقين و بصيرة،

و لهذا قال:-(لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)

بقلبي و لساني، و جوارحي، بحيث تكون منقادة لطاعته، مستسلمة لأمره،و هذا أعظم مأمور به، على الإطلاق،

كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم مَنْهِيٍّ عنه، على الإطلاق﴿٦٦﴾

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ
ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾
ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ
فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم و المطور لخلقتكم فكما خلقكم وحده،فاعبدوه وحده فقال:-

(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ)و ذلك بخلقه لأصلكم و أبيكم آدم عليه السلام

(ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ)و هذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء، على بقية الأطوار

(ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ)من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح(ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)

ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل و البدن، و جميع قواه الظاهرة و الباطنة

(ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ)بلوغ الأشد

(وَلِتَبْلُغُوٓا۟)بهذه الأطوار المقدرة (أَجَلًا مُّسَمًّى)تنتهي عنده أعماركم(وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)أحوالكم،

فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار،و أنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، و أنكم ناقصون من كل وجه﴿٦٧﴾

(هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ)هو المنفرد بالإحياء و الإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه.

(فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا)جليلا أو حقيرًا(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)لا رد في ذلك، و لا مثنوية، و لا تمنع﴿٦٨﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ)الواضحة البينة متعجبًا من حالهم الشنيعة

(أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ)كيف ينعدلون عنها؟

و إلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟

هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟

لا و الله أم يجدون شبهًا توافق أهواءهم، و يصولون بها لأجل باطلهم؟﴿٦٩﴾

(ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا)من الهدى و البينات

فبئس ما استبدلوا و اختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب،الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله،

الذين هم خير الخلق و أصدقهم، و أعظمهم عقولا فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية،

و لهذا توعدهم الله بعذابها فقال:–(فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)كقوله{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}[الْمُرْسَلَاتِ: ١٥]﴿٧٠﴾

(إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ)التي لا يستطيعون معها حركة

(وَٱلسَّلَٰسِلُ)التي يقرنون بها هم و شياطينهم-مُتَّصِلَةٌ بِالْأَغْلَالِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ

(يُسْحَبُونَ)يَسْحَبُونَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴿٧١﴾

(فِى ٱلْحَمِيمِ)الماء الذي اشتد غليانه و حره–تَارَةً إِلَى الْحَمِيمِ

(ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ)تَارَةً إِلَى الْجَحِيمِ–يوقد عليهم اللهب العظيم﴿٧٢﴾

(ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ)هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟

(قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا)غابوا و لم يحضروا، و لو حضروا، لم ينفعوا،ثم إنهم أنكروا فقالوا:–

(بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا)يحتمـــــــل أن مرادهـــــــم بـــــــذلك:–

الإنكـــــــار، و ظنوا أنه ينفعهم و يفيدهم،

و يحتمل – و هو الأظهر – أن مرادهم بذلك:–

الإقـــــــرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون،و أنه ليس للّه شريك في الحقيقة

و إنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية

و يدل على هذا قوله تعالى:–(كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ)

أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه

يوم القيامة﴿٧٤﴾

و يقال لأهل النار (ذَٰلِكُم)العذاب، الذي نوع عليكم

(بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ)بما تقترفونه من المعاصي و الآثام(بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ)

بـــــــــــــــــ:ـ

١–البـــــــاطل الذي أنتم عليه٢–و بالعلـــــوم التي خالفتم بها علوم الرسل

(وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ)على عباد الله، بغيًا و عدوانًا، و ظلمًا، و عصيانًا و أشرا و بطرا﴿٧٥﴾

(ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ)كل بطبقة من طبقاتها، على قدر عمله(خَٰلِدِينَ فِيهَا)لا يخرجون منها أبدًا

(فَبِئْسَ)فبئست جهنم (مَثْوَى)نزلا –يخزون فيه،و يهانون،و يحبسون

و يعذبون و يترددون بين حرها و زمهريرها (ٱلْمُتَكَبِّرِينَ)فى الدنيا على الله﴿٧٦﴾

(فَٱصْبِرْ)يا أيها الرسول، على دعوة قومك، و ما ينالك منهم، من أذى،و استعن على صبرك بإيمانك

(إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ)سينصر دينه و يُعْلِي كلمته، و ينصر رسله في الدنيا و الآخرة، و استعن على ذلك أيضًا، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا و الآخرة،

و لهذا قال:–(فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ)

في الدنيا فذاك -وَ كَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّ اللَّهَ أَقَرَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ كُبَرَائِهِمْ وَ عُظَمَائِهِمْ، أُبِيدُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ.
ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَ سَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ﷺ

(أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)قبل عقوبتهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنجازيهم بأعمالهم﴿٧٧﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ)كثيرين إلى قومهم، يدعونهم و يصبرون على أذاهم.

(مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ)خبرهم(وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)وَ هُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ ذكر بِأَضْعَافِ أَضْعَافٍ،

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ)و كل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر.و ما كان لأحد منهم (أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ)
من الآيات السمعية و العقلية-وَ لَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِخَارِقٍ لِلْعَادَاتِ،
إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

(إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)بمشيئته و أمره فاقتـــــــراح المقترحيـــــــن على الرســـــــل الإتيان بالآيــــــات:-

١-ظلـــــم منهم ٢-و تعنـــــت٣-و تكـــــذيب

بعد أن أيدهم اللّه بالآيات الدالة على صدقهم و صحة ما جاءوا به.

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ)بالفصل بين الرسل و أعدائهم، و الفتح.وَ هُوَ عَذَابُهُ وَ نَكَالُهُ الْمُحِيطُ بِالْمُكَذِّبِينَ

(قُضِيَ) بينهم(بِالْحَقِّ)الذي يقع الموقع،و يوافق الصواب بإنجاء الرسل و أتباعهم و إهلاك المكذبين و لهذا

قال:-(وَخَسِرَ هُنَالِكَ) أي: وقت القضاء المذكور(الْمُبْطِلُونَ) الذين وصفهم الباطل، و ما جاءوا به من
العلم و العمل، باطل،و غايتهم المقصودة لهم، باطلة، فَلْيَحْذَر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم،
فيخسروا، كما خسر أولئك،فإن هؤلاء لا خير منهم، و لا لهم براءة في الكتب بالنجاة﴿٧٨﴾

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ)وَ هِيَ الْإِبِلُ وَ الْبَقَرُ وَ الْغَنَمُ

فالْإِبِلُ:-
تُرْكَبُ وَ تُؤْكَلُ وَ تُحْلَبُ، وَ يُحْمَلُ عَلَيْهَا الْأَثْقَالُ فِي الْأَسْفَارِ وَ الرِّحَالِ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ، وَ الْأَقْطَارِ الشَّاسِعَةِ.
وَ الْبَقَرُ:-تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَ تُحْرَثُ عَلَيْهَا الْأَرْضُ.
وَ الْغَنَمُ:-تُؤْكَلُ، وَ يُشْرَبُ لَبَنُهَا،
وَ الْجَمِيعُ تُجَزُّ أَصْوَافُهَا وَ أَشْعَارُهَا وَ أَوْبَارُهَا فَيُتَّخَذُ مِنْهَا الْأَثَاثُ وَ الثِّيَابُ وَ الْأَمْتِعَةُ

يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام:-

١-(لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا)منافع الركوب عليها و الحمل٢-(وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)منافع الأكل من لحومها و الشرب من ألبانها٣-منافع الدفء و اتخاذ الآلات و الأمتعة من أصوافها و أوبارها و أشعارها إلى غير ذلك ﴿٧٩﴾

(وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ)٤-(وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)
من الوصول إلى الأوطان البعيدة، و حصول السرور بها، و الفرح عند أهلها.

(وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)على الرواحل البرية، و الفلك البحرية، يحملكم الله الذي سخرها، و هيأ لها ما هيأ، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها.﴿٨٠﴾

(وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ)الدالة على وحدانيته، و أسمائه، و صفاتهو هذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته النفسية، و آياته الأفقية، و نعمه الباهرة، و عدَّدَها عليهم، ليعرفوه، و يشكروه، و يذكروه.

(فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ)أي آية من آياته لا تعترفون بها؟﴿٨١﴾

(أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ)
يحث تعالى المكذبين لرسولهم،على السير في الأرض، بأبدانهم، و قلوبهم

(فَيَنظُرُواْ)نظر فكر و استدلال، لا نظر غفلة و إهمال.

(كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ)من الأمم السالفة، كعاد، و ثمود و غيرهم

(كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً)ممن كانوا أعظم منهم قوة و أكثر أموالا و أشد

(وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ)من الأبنية الحصينة، و الغراس الأنيقة، و الزروع الكثيرة

(فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)
حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، و لا افتدوا بأموالهم و لا تحصنوا بحصونهم﴿٨٢﴾

ثم ذكر جرمهم الكبير فقال:-(فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

مـــــــــن:-

١-الكتـــب الإلهية٢-و الخـوارق العظيمة٣-و العلم النافع المبين للهدي من الضلال، و الحق من الباطل

(فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ)المناقض لدين الرسل

و مـــــن المعلـــــوم، أن فرحهـــــم به يدل على:-

١-شـــــدة رضاهم به٢-و تمسكهـــــم٣-و معــــــاداة الحق، الذي جاءت به الرسل،

و جعل باطلهم حقًا،و هذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل،

و مـــــن أحقهـــــا بالدخـــــول في هذا:-

١-علوم الفلسفة٢-و المنطق اليوناني الـــــــذى:-

١-رُدَّت به كثير من آيات القرآن٢-و نقصت قدره في القلوب٣-و جعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية

(لا تفيد شيئًا من اليقين،و يقدم عليها عقول أهل السفه و الباطل)

و هذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، و المعارضة لها،و المناقضة، فالله المستعان.

(وَحَاقَ بِهِم)نزل(مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ)من العذاب(فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا)عذابنا، أقروا حيث لا ينفعهم الإقرار

(قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ)من الأصنام و الأوثان، و تبرأنا من كل ما خالف

الرسل، من علم أو عمل-وَحَّدُوا اللَّهَ وَ كَفَرُوا بِالطَّاغُوتِ وَ لَكِنْ حَيْثُ لَا تُقَال الْعَثَرَاتُ، وَ لَا تَنْفَعُ الْمَعْذِرَةُ ٨٤

(فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ)في تلك الحال و هذه (سُنَّتَ ٱللَّهِ)و عادته(ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ)مضت

(فِي عِبَادِهِۦۖ)أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله و عقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيح، و لا منجيًا لهم

من العذاب، و ذلك لأنه إيمان ضرورة:-قد اضطروا إليه، و إيمان مشاهدة،

و إنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري:-

الذي يكون إيمانًا بالغيب، و ذلك قبل وجود قرائن العذاب-

هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَنْ تَابَ عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ:-أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ

(وَخَسِرَ هُنَالِكَ)وقت الإهلاك، و إذاقة البأس

(ٱلۡكَٰفِرُونَ)دينهم و دنياهم و أخراهم،

و لا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار

بل لا بد من خسران يشقي في العذاب الشديد و الخلود فيه دائما أبدًا ٨٥

٤١-سورة فصلت-مكية -بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا
وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾
۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

حمٓ ﴿١﴾ يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل و القرآن الجميل(تَنزِيلٌ)صادر(مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)
الذي وسعت رحمته كل شيء،الذي من أعظم رحمتـه و أجلهـا:-
إنزال هذا الكتاب الـذى حصـل بـه مـن:-العلم و الهدى، و النور، و الشفاء، و الرحمة، و الخير الكثير ﴿٢﴾

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال:-(كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ)بُينت مَعَانِيهِ وَ أُحْكِمَتْ أَحْكَامُهُ
أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته،و هذا يستلزم البيان التام، و التفريق بين كل شيء، و تمييز
الحقائق(قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا)باللغة الفصحى أكمل اللغات فَمَعَانِيهِ مُفَصَّلَةٌ، وَ أَلْفَاظُهُ وَاضِحَةٌ غَيْرُ مُشْكِلَةٍ
(لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ)لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه،و يتضح لهم الهدى من الضلال، و الْغَيِّ من الرشاد.
و أما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا و لا البيان إلا عَمًى فهؤلاء لم يُسَقِ الكلام لأجلهم ﴿٣﴾

(بَشِيرًا)بالثواب العاجل و الآجل (وَنَذِيرًا)بالعقاب العاجل و الآجل و ذكر تفصيلهما،
و ذكر الأسباب و الأوصاف التي تحصل بها البشارة و النذارة، و هذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يُتَلَقَّى
بالقبول،و الإذعان،و الإيمان، و العمل به

(فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ) و لكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين

(فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)له سماع قبول و إجابة.و إن كانوا قد سمعوه سماعًا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية﴿٤﴾

(وَقَالُوا) أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به، بسد الأبواب الموصلة إليه:-

(قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ)أغطية مغشاة (مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ)صمم فلا نسمع لك

(وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ)

فلا نراك. القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، و أظهروا بغضه، و الرضا بما هم عليه،

و لهذا قالوا:(فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)اعْمَلْ أَنْتَ عَلَى طَرِيقَتِكَ،وَ نَحْنُ عَلَى طَرِيقَتِنَا لَا نُتَابِعُكَ﴿٥﴾

(قُلْ) لهم يا أيها النبي:-(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)

هذه صفتي و وظيفتي، أني بشر مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء،و لا عندي ما تستعجلون به

(يُوحَى إِلَيَّ)و إنما فضلني اللّه عليكم، و ميَّزني و خصَّني، بالوحي الذي أوحاه إليَّ و أمرني باتباعه و دعوتكم إليه

(أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ)لَا كَمَا تَعْبُدُونَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَ الْأَنْدَادِ وَ الْأَرْبَابِ الْمُتَفَرِّقِينَ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

(فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ)اسلكوا الصراط الموصل إلى اللّه تعالى، بـــــــ:-

١-تصديق الخبر الذي أخبر به٢-و اتبع الأمر٣-و اجتناب النهى هذه حقيقة الاستقامة ثم الدوام على ذلك،

ثم توَّعد من ترك الاستقامة فقال:-(وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)دمار و هلاك﴿٦﴾

(الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)لَا يدِينون بِالزَّكَاةِ-يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

(وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ)لا يؤمنون بالبعث، و لا بالجنة و النار﴿٧﴾

(إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)بهذا الكتاب، و ما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان

و صدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، و المتابعة.

(لَهُمْ أَجْرٌ)عظيم(غَيْرُ مَمْنُونٍ)غير مقطوع و لا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات،

مشتمل على جميع اللذات و المشتهيات﴿٨﴾

(۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ)ينكر تعالى و يعجِّب، من كفر الكافرين به

(بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ)الكثيفة العظيمة دحاها(فِي يَوْمَيْنِ)يَوْمَ الْأَحَدِ وَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ(وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا)

نُظَرَاءَ وَ أَمْثَالًا تَعْبُدُونَهَا مَعَهُ–يشركونهم معه،و يبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم و يسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم (ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ ﴿٩﴾

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا)ترسيها عن الزوال و التزلزل وعدم الاستقرار

(وَبَٰرَكَ فِيهَا)فكمل خلقها و دحاها و أخرج أقواتها جَعَلَهَا مُبَارَكَةً قَابِلَةً لِلْخَيْرِ وَ الْبَذْرِ وَ الْغِرَاسِ ﴿١٠﴾

(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا)مَا يَحْتَاجُ أَهْلُهَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُزْرَعُ وَ تُغْرَسُ، يَعْنِي: يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَ الْأَرْبِعَاءِ، فَهُمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةٌ(فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ)عن ذلك فلا ينبئك مثل خبير

(لِّلسَّآئِلِينَ)لِمَنْ أَرَادَ السُّؤَالَ عَنْ ذَلِكَ لِيَعْلَمَهُ ﴿١٠﴾

(ثُمَّ)بعد أن خلق الأرض(ٱسۡتَوَىٰٓ)قصد(إِلَى) خلق(ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ)قد ثار على وجه الماء-بُخَارُ الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض(فَقَالَ لَهَا)و لما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه بقوله:

(وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا)انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلسَّمَوَاتِ:-أَطْلِعِي شَمْسِي وَ قَمَرِي وَ نُجُومِي وَ قَالَ لِلْأَرْضِ: شَقِّقِي أَنْهَارَكِ وَ أَخْرِجِي ثِمَارَكِ.

فـــــ(قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ)ليس لنا إرادة تخالف إرادتك-بَلْ نَسْتَجِيبُ لَكَ مُطِيعِينَ بِمَا فِينَا،مِمَّا تُرِيدُ خَلْقَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ جَمِيعًا مُطِيعِينَ لَكَ ﴿١١﴾

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣
إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا
صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ
١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩
حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠

(فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ)فَتَمَّ خلقهما في ستة أيام:–أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة،

(وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ)الأمر و التدبير اللائق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين.

(وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ)هـي النجـوم:–١–يستنار بها، و يهتدى٢–و تكون زينة و جمالا للسماء ظاهرًا، و جمالا لها٣– بـاطنًا بجعلها رجومًا للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها.

(وَحِفۡظٗاۚ) المذكور، من الأرض و ما فيها، والسماء و ما فيها(ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ)

الذي عزته، قهر بها الأشياء و دبرها، و خلق بها المخلوقات(ٱلۡعَلِيمِ)الذي أحاط علمه بالمخلوقات ١٢

(فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ)فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، و من صفات الإله العظيم(فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ)عذابًا يستأصلكم و يجتاحكم(مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ)القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحهم العذاب و ذلك بظلمهم و كفرهم-وَ مَنْ شَاكَلَهُمَا مِمَّنْ فَعَلَ كَفِعْلِهِمَا ١٣

(إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ)يتبع بعضهم بعضا متوالين، و دعوتهم جميعا واحدة.

(أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ)يأمرونهم بالإخلاص للّه و ينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم و كذبوهم

(قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ)و أما أنتم فبشر مثلنا–لَوْ أَرْسَلَ اللّٰهُ رُسُلًا لَكَانُوا مَلَائِكَةً مِنْ عِنْدِهِ،

(فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ)أَيُّهَا الْبَشَرُ(كَٰفِرُونَ)لَا نَتَّبِعُكُمْ وَ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴿١٤﴾

*مصنف ابن أبي شيبة٣٦٥٦٠ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا فَقَالُوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالشِّعْرِ،فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَ أَمْرَنَا وَعَابَ دِينَنَا فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ،فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَفَقَالُوا: أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ فَقَالَ:-يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:- أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ؟فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:-إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ،فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا وَشَتَّتَّ أَمْرَنَا وَ عِبْتَ دِينَنَا وَ فَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا،وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى أَنْ يَقُولَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ،إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ وَ نُزَوِّجُكَ عَشْرًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا لَكَ حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا وَاحِدًا،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَغْتَ؟قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.(حم* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حَتَّى بَلَغَ {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}[فصلت: ١٣] فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ مَا عِنْدَكَ غَيْرَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ، فَقَالُوا: فَهَلْ أَجَابَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَا وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيِّنَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، قَالُوا: وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ؟ قَالَ: لَا وَ اللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ "

هذا تفصيل لقصة هاتين الأمتين، عاد، و ثمود(فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ)

فكانوا – مع كفرهم باللّه، و جحدهم بآيات اللّه، و كفرهم برسله–مستكبرين في الأرض قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم(وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ)قال تعالى ردًا عليهم، بما يعرفه كل أحد: –

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةًۖ)فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم اللّه عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها

(وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا)بأدلتنا وحججنا (يَجۡحَدُونَ)﴿١٥﴾

(فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا)عظيمة بَارِدَةٍ شَدِيدَةٍ من قوتها لها صوت مزعج، كالرعد القاصف لذلك سُمِّيَ النَّهْرُ الْمَشْهُورُ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ "صَرْصَرًا" لِقُوَّةِ صَوْتِ جَرْيِهِ.

(فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ)مُتَتَابِعَاتٍ وَ اسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْسُ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَ اتَّصَلَ بِهِمْ خِزْيُ الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ–فدمرتهم و أهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم.

(لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ)الذي اختزوا به و افتضحوا بين الخليقة

(وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ)لا يمنعون من عذاب اللّه، و لا ينفعون أنفسهم.

و أما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر و حواليه،الذين أرسل اللّه إليهم صالحًا عليه السلام:– يدعوهم إلى توحيد ربهم، و ينهاهم عن الشركو آتاهم اللّه الناقة آية عظيمة لها شرب و لهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يومًا و يشربون من الماء يومًا،و ليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض اللّه﴿١٦﴾

و لهذا قال هنا:–(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ) أي: هدايـــة بيان، و إنما نص عليهم،

و إن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، و حصل لهم البيان، لأن آية ثمود، آية باهرة قد رآها صغيرهم و كبيرهم، و ذكرهم و أنثاهم، و كانت آية مبصرة، فلهذا خصهم بزيادة البيان و الهدى

Oو لكنهم –من ظلمهم و شرهم–(فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ)–الذي هو الكفر و الضلال–(عَلَى ٱلْهُدَىٰ)– الذي هو: العلم و الإيمان– (فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ)وَ رَجْفَةً وَ ذُلًّا وَ هَوَانًا وَ عَذَابًا وَ نَكَالًا (بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)لا ظلمًا من اللّه لهم﴿١٧﴾

(وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)نجى اللّه صالحًا عليه السلام و من اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك و المعاصي.

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ)يخبر تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به و بآياته، و تكذيب رسله و معاداتهم و محاربتهم، و حالهم الشنيعة حين يحشرون أي: يجمعون

(إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)يرد أولهم على آخرهم، و يتبع آخرهم أولهم،و يساقون إليها سوقا عنيفًا، لا يستطيعون امتناعًا، و لا ينصرون أنفسهم، و لا هم ينصرون–تَجْمَعُ الزَّبَانِيَةُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ﴿١٩﴾

(حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا)حتى إذا وردوا على النار:–و أرادوا الإنكار أو أنكروا ما عملوه من المعاصي-وُقفوا عليها

(شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم)عموم بعد خصوص (بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)
شهد عليهم كل عضو من أعضائهم فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا و كذا، يوم كذا و كذا

و خص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها﴿٢٠﴾

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ
فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ
أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

فإذا شهدت عليهم عاتبوها(وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ)هذا دليل عل أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا:–

(لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ)و نحن ندافع عنكن؟(قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ)فليس في إمكاننا، الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد(وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)فكما خلقكم بذواتكم، و أجسامكم، خلق أيضا صفاتكم،و مــــن ذلك:–الإنطـــــاق (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) في الآخرة، فيجزيكم بما عملتم، و يحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول﴿٢١﴾

(وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ)تختفون(أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ)

عن شهادة أعضائكم عليكم، و لا تحاذرون من ذلك(وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ)بإقدامكم على المعاصي

(أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ)فلذلك صدر منكم ما صدر و هذا الظن، صار سبب هلاكهم و شقائهم﴿٢٢﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-البخارى٤٨١٦ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ}[فصلت: ٢٢] الآيَةَ قَالَ:كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ ثَقِيفَ –أَوْ رَجُلاَنِ مِنْ ثَقِيفَ وَخَتَنٌ لَهُمَا مِنْ قُرَيْشٍ - فِي بَيْتٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ: بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ بَعْضَهُ وَ قَالَ بَعْضُهُمْ: لَئِنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ فَأُنْزِلَتْ:-{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: ٢٢] الآيَةَ(١)

١ (ختن) كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها فهو ختن ويطلق أيضا على زوج البنت والأخت. (ثقيف) إحدى قبائل العرب وكانت تسكن الطائف]

و لهذا قال:(وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ)الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله
(أَرْدَىٰكُمْ)أهلككم(فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)لأنفسهم و أهليهم و أديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم
ظنكم القبيح بربكم فحقت عليكم كلمة العقاب و الشقاء و وجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب،
الذي لا يفتر عنهم ساعة(٢٣)

(فَإِن يَصْبِرُوا۟)فلا جَلَدَ عليها، و لا صبر، و كل حالة قُدِّر إمكان الصبر عليها،فالنار لا يمكن الصبر عليها،
و كيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، و زادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفًا،و عظم غليان حميمها،
و زاد نتن صديدها،و تضاعف برد زمهريرها و عظمت سلاسلها و أغلالها،و كبرت مقامعها، و غلظ خُزَّانها،
و زال ما في قلوبهم من رحمتهم و ختام ذلك سخط الجبار، و قوله لهم حين يدعونه و يستغيثون:-
(اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)

(فَٱلنَّارُ مَثْوًى)مأوى(لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟)يطلبوا أن يزال عنهم العتب، و يرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل.

(فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ)لأنه ذهب وقته، و عمروا، ما يعمر فيه من تذكر و جاءهم النذير و انقطعت حجتهم
مع أن استعتابهم، كذب منهم(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (٢٤)

(وَقَيَّضْنَا)هيأنا(لَهُمْ)لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق (قُرَنَآءَ)من الشياطين

(فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)فالدنيا زخرفوها بأعينهم، و دعوهم إلى لذاتها و شهواتها المحرمة حتى افتتنوا

(وَمَا خَلْفَهُمْ)من أمور الآخرة،فأنسوهم ذِكرها،و دعَوهم إلى التكذيب بالمعاد
فـــــــــــــ:-١-أقدموا على معاصي اللّه٢-و سلكـوا ما شاءوا من محاربة اللّه و رسله
٣-و الآخـرة بَعّدُوها عليهم و أنسوهم ذكرها٤-و ربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها
فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، و البدع، و المعاصي.

(وَحَقَّ عَلَيْهِمُ)وجب عليهم، و نزل(ٱلْقَوْلُ)القضاء و القدر بعذابهم-كلمة العذاب

(فِىٓ) جملة(أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ)مضت(مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ)
لأديانهم و آخرتهم، و من خسر، فلا بد أن يذل و يشقى و يعذب(٢٥)

يخبر تعالى عن إعراض الكفار عن القرآن و تواصيهم بذلك فقال:-(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ)
أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، و إياكم أن تلتفتوا أو تصغوا إليه و لا إلى من جاء به فإن اتفق أنكم سمعتموه
أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه فـــــ(وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ)بِالْمُكَاءِ وَ الصَّفِيرِ وَ التَّخْلِيطِ فِي الْمَنْطِقِ عَلَى رسول الله ﷺ

إذا قَرَأَ الْقُرْآنَ قُرَيْشٌ تَفْعَلُهُ- تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه،بل فيه المضرة،و لا تمكنوا -مع قدرتكم- أحدًا يملك عليكم الكلام به و تلاوة ألفاظه و معانيه هذا لسان حالهم و لسان مقالهم،في الإعراض عن القرآن

(لَعَلَّكُمْ)إن فعلتم ذلك(تَغْلِبُونَ)و هذه شهادة من الأعداء، و أوضح الحق، ما شهدت به الأعداء ﴿٢٦﴾

(فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا)فِي مُقَابَلَةِ مَا اعْتَمَدُوهُ فِي الْقُرْآنِ وَ عِنْدَ سَمَاعِهِ،

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ)و هو الكفر و المعاصي،فإنها أسوأ ما كانوا يعملون،لكونهم يعملون المعاصي و غيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك(وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

(ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ)الذين حاربـــوه،و حاربـــوا أوليـــاءه، بـــ:-

١-الكفـــر و التكـــذيب٢-و المجادلـــة و المجالدة.

(النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ)الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، و لا هم ينصرون،

و ذلك (جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)

فإنها آيات واضحة، و أدلة قاطعة مفيدة لليقين فأعظم الظلم و أكبر العناد، جحدها، والكفر بها ﴿٢٨﴾

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ)

الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال و العذاب، من شياطين الجن، و شياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم-

-عن علىﷺفِي قَوْلِهِ: {الَّذَيْنِ أَضَلانَا} قَالَ:-إِبْلِيسُ وَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ.

(نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا)الأتباع منهم(لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)الأذلين المهانين فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿٢٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ
وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ
كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾
وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾
فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

يخبر تعالى عن أوليائه و في ضمن ذلك:-١-تنشيطهم ٢-و الحث على الاقتداء بهم،

فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ)اعترفوا و نطقوا و رضوا بربوبية الله تعالى، و استسلموا لأمره

(ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ)على الصراط المستقيم، علمًا و عملا فلهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة.

-صحيح مسلم (٣٨)عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺقَالَ: قُلْتُ:-يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - قَالَ:-قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ "

(تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) الكــــــرام أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار.

(أَلَّا تَخَافُواْ) على ما يستقبل من أمركم(وَلَا تَحْزَنُواْ)على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي و المستقبل

(وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ)فإنها قد وجبت لكم و ثبتت، و كان وعد الله مفعولا﴿٣٠﴾

و يقولون لهم أيضا—مثبتين لهم و مبشرين:—(نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ)قُرَنَاءكُمْ (فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا)

١—يحثونهم في الدنيا على الخير و يزينونه لهم٢—و يرهبونهم عن الشرو يقبحونه في قلوبهم و يدعون الله لهم
٣—و يثبتونهم عند المصائب و المخاوف ٤— وَ نَحْفَظُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ

(وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ)كَذَلِكَ نَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَة:-١-و خصوصًا عند الموت و شدته

٢-نُؤْنِسُ مِنْكُمُ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ (و ظلمة القبر) ٣—و في القيامة و أهوالها:—عِنْدَ النَّفْخَةِ فِي الصُّورِ

٤-وَ نُؤَمِّنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَ النُّشُورِ ٥-وَ نُجَاوِزُ بِكُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

٦-وَ نُوصِلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ و في الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم

و يدخلون عليهم من كل باب (سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

و يقولون لهم أيضا: (وَلَكُمْ فِيهَا)في الجنة (مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ)مما تختارونه

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)تطلبون من انواع اللذات ﴿٣١﴾

(نُزُلًا)هذا الثواب الجزيل و النعيم المقيم نزلٌ و ضيافة (مِّنْ غَفُورٍ)غفر لكم السيئات(رَّحِيمٍ)

حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم.فبمغفرته أزال عنكم المحذور، و برحمته، أنالكم المطلوب﴿٣٢﴾

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا)استفهام بمعنى النفى المتقرر أي:-لا أحد أحسن قولا أي:-كلامًا و طريقة و حالة

(مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ) بـــ:- ١-تعليـــم الجاهلين ٢-و وعظ الغافلين و المعرضين

٣-و مجادلة المبطلين،بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،و الحث عليها و تحسينها مهما أمكن، و الزجر عما

نهى الله عنه، و تقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام و تحسينه،

٤-و مجادلة أعدائه بالتي هي أحسن ٥-و النهي عما يضاده من الكفر و الشرك،

٦-و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر ٧-تحبيبه إلى عباده بذكـــر:-

تفاصيل نعمه، و سعة جوده، و كمال رحمته،و ذكر أوصاف كماله، و نعوت جلاله.

٨-الترغيب في اقتباس العلم و الهدى من كتاب الله

و سنة رسوله و الحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه

٩- الحث على مكارم الأخلاق و الإحسان إلى عموم الخلق و مقابلة المسيء بالإحسان، و الأمر بصلة

الأرحام، و بر الوالدين

١٠-الوعظ لعموم الناس في أوقات المواسم، و العوارض،و المصائب بما يناسب ذلك الحال

(وَعَمِلَ صَـٰلِحًا)مع دعوته الخلق إلى الله بادر هو بنفسه إلـى:-امتثال أمر الله بالعمل الصالح

(وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)المنقادين لأمره، السالكين في طريقه

و هذه المرتبـــة تمامهـــا للصديقيـــن:-الذين عملوا على تكميل أنفسهم و تكميل غيرهم﴿٣٣﴾

(وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ)لا يستوي فعل الحسنات و الطاعات لأجل رضا الله تعالى،

و لا فعل السيئات و المعاصي التي تسخطه و لا ترضيه،و لا يستوي الإحسان إلى الخلق،

و لا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، و لا في وصفها، و لا في جزائها(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ)

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير،و هو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال:-

(ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، و الأصحاب، و نحوهم:-إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بـ:-الإحسان إليه

فإن قطعك فصلْهُ و إن ظلمك، فاعف عنه

و إن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا:-فلا تقابله بل اعف عنه، و عامله بالقول اللين

و إن هجرك و ترك خطابك فطيِّبْ له الكلام و ابذل له السلام

فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة.

(فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ)قريب شفيق-وَ هُوَ الصَّدِيقُ أَيْ:-
إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ قَادَتْهُ تِلْكَ الْحَسَنَةُ إِلَيْهِ إِلَى مُصَافَاتِكَ وَ مَحَبَّتِكَ،
وَ الْحُنُوِّ عَلَيْكَ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ لَكَ حَمِيمٌ أَيْ:-قَرِيبٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ وَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ ٣٤

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ)و ما يوفق لهذه الخصلة الحميدة

(إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ)نفوسهم على ما تكره، و أجبروها على ما يحبه الله،فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته و عدم العفو عنه فكيف بالإحسان؟

فإذا :-

١-صَبَّر الإنسان نفسه٢-و امتثل أمر ربه٣-و عرف جزيل الثواب

٤-و علم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله(لا يفيده شيئًا، و لا يزيد العداوة إلا شدة)

٥-و أن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره بل من تواضع للّه رفعه:-

هان عليه الأمر، و فعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

(وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ)لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا و الآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق ٣٥

(وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ)أي وقت من الأوقات، أحسست بشيء من نزغات الشيطان

أي: من:-١-وساوسه٢-و تزيينه للشر٣-و تكسيله عن الخير

٤-و إصابة ببعض الذنوب٥-و إطاعة له ببعض ما يأمر

(فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ)اسأله، مفتقرًا إليه، أن يعيذك و يعصمك منه(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ)
فإنه يسمع قولك و تضرعك،و يعلم حالك و اضطرارك إلى عصمته و حمايته ٣٦

(وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ)الدالة على كمال قدرته، و نفوذ مشيئته، و سعة سلطانه، و رحمته بعباده،
و أنه الله وحده لا شريك له

(ٱلَّيۡلُ)هذا بمنفعه ظلمه،و سكون الخلق فيه(وَٱلنَّهَارُ)هذا بمنفعة ضيائه،و تصرف العباد فيه،

(وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ)اللذان لا تستقيم معايش العباد، و لا أبدانهم، و لا أبدان حيواناتهم،

إلا بهما، و بهما من المصالح ما لا يحصى عدده.

(لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ)فإنهما مدبران مسخران مخلوقان.

(وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ)اعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، و دعوا عبادة ما سواه،

من المخلوقات، و إن كبر، جرمه و كثرت مصالحه فإن ذلك ليس منه، و إنما هو من خالقه، تبارك وتعالى.

(إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ)فخصوه بالعبادة و إخلاص الدين له٣٧

(فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ)عن عبادة الله تعالى، و لم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئًاو الله غني عنهم،

و له عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، و يفعلون ما يؤمرون

و لهذا قال:-(فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) يعني: الملائكة المقربين

(يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩)

لا يملون من عبادته لقوتهم و شدة الداعي القوي منهم إلى ذلك٣٨

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ
أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾
مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى
وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ
﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ
وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ
وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ)الدالة على كمال قدرته و انفراده بالملك و التدبير و الوحدانية(أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً)
لا نبات فيها-بَلْ هِيَ مَيْتَةٌ(فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ)المطر(ٱهْتَزَّتْ)تحركت بالنبات(وَرَبَتْ ۚ)انتفخت و علت
(إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا) بعد موتها و همودها(لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ)من قبورهم إلى يوم بعثهم، و نشورهم
(إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها،لا تعجز عن إحياء الموتى﴿٣٩﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ)الإلحـــــاد فى آيـــات الله:-

الميل بها عن الصواب بأي وجه كان:-إما بإنكارها و جحودها، و تكذيب من جاء بها،
و إما بتحريفها و تصريفها عن معناها الحقيقي، و إثبات معان لها، ما أرادها الله منها.

(أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ)مثل الملحد بآيات الله(خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ)من عذاب الله مستحقًا لثوابه؟
(ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ)إن شئتم فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم و جنته و إن شئتم فاسلكوا طريق الغيِّ
(إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)يجازيكم بحسب أحوالكم و أعمالكم﴿٤٠﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ)

يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع مصالحهم الدينية و الدنيوية و الأخروية، المُعلي لقدر من اتبعه

(لَمَّا جَآءَهُمۡۖ)نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق و أكملهم(و) الحال

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ)جامع لأوصاف الكمال(عَزِيزٞ)منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء٤١

(لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ)أي:-لا يقربه شيطان من شياطين الإنس و الجن:-

لا بسرقةو لا بإدخال ما ليس منه به و لا بزيادة و لا نقص فهو محفوظ في تنزيله محفوظة ألفاظه و معانيه قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

(تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ) في خلقه و أمره، يضع كل شيء موضعه، و ينزله منزله(حَمِيدٖ)

على مـــــا لـــــــه مــــــن:-

١-صفات الكمال٢-و نعوت الجلال٣-و على ما له من العدل و الإفضال فلهذا كان كتابه مشتملا على تمام الحكمةو على تحصيل المصالح و المنافع،و دفع المفاسد و المضار التي يحمد عليها٤٢

(مَّا يُقَالُ لَكَ)أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك و عاندك(إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ)

أي: من جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل،

من دعوتهم إلي الإخلاص للّه و عبادته وحده لا شريك له و ردهم هذا بكل طريق يقدرون عليه، و قولهم:-

(مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا)و اقتراحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها،و نحو ذلك من أقوال أهل التكذيب،لمَّا تشابهت قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، و صبر الرسل عليهم السلام على أذاهم و تكذيبهم،فاصبر كما صبر من قبلك ثم دعاهم إلى التوبة و الإتيان بأسباب المغفرة،

و حذرهم من الاستمرار على الغيّ فقال:-(إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ)

عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقلع و تاب(وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ)لمن: أصر و استكبر٤٣

(وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ)لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى الْقُرْآنَ وَ فَصَاحَتَهُ وَ بَلَاغَتَهُ، وَ إِحْكَامَهُ فِي لَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ، وَ مَعَ هَذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، نَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ بِهِ كُفْرُ عِنَادٍو تَعَنُّتٍ،

كَمَا قَالَ:{وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشُّعَرَاءِ: ١٩٨، ١٩٩] .

❍يخبر تعالى عن فضله و كرمه، حيث أنزل كتابا عربيًا، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم،

و هـــــذا ممـــــــا يوجــــــب لهـــــم :-

١-زيادة الاغتناء به٢-و التلقي له و التسليم

❍و أنه لو جعله قرآنا أعجميًا بلغة غير العرب لاعترض المكذبون و قالوا:-

(لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ)هلا بينت آياته، و وضحت و فسرت(ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ)

كيف يكون محمد عربيًا، و الكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفى الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، و وصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد، و لكن المؤمنون الموفقون،انتفعوا به و ارتفعوا و غيرهم بالعكس من أحوالهم و لهذا قال:-(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى)لقلبه

أى:-يهديهم لطريق الرشد و الصراط المستقيم،و يعلمهم من العلوم النافعة،ما به تحصل الهداية التامة

(وَشِفَآءٌ)لما في الصدور مـــن:-

١-الشكوك و الريب٢-و شفاء لهم من الأسقام البدنية٣-و الأسقام القلبية

لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق و أقبح الأعمال و يحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب و تشفي القلب.

(وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالقرآن (فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ)صمم عن استماعه و إعراض،

(وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى)لا يبصرون به رشدًا، و لا يهتدون به، و لا يزيدهم إلا ضلالا

فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، و غيًّا إلى غيِّهم-لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ

(أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ)

مِنْ قُلُوبِهِم-كَأَنَّ مَنْ يُخَاطِبُهُمْ يُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ

أي: ينادون إلى الإيمان، و يدعون إليه،فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، و هو في مكان بعيد، لا يسمع داعيًا و لا يجيب مناديًا﴿٤٥﴾

(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ)كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك

(فَٱخْتُلِفَ فِيهِ)كُذِّبَ وَ أُوذِيَ اختلفـــــــوا فيــــــه:-

١-فمنهم من آمن به و اهتدى و انتفع٢-و منهم من كذبه و لم ينتفع به،

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ)و إن اللّه تعالى، لولا حلمه و كلمته السابقة، بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه و لا يتأخر(لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين،بإهلاك الكافرين في الحال،لأن سبب الهلاك قد وجب و حقّ-لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا

(وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، فلذلك كذبوه و جحدوه.

***وَ مَا كَانَ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ عَنْ بَصِيرَةٍ مِنْهُمْ لِمَا قَالُوا،بَلْ كَانُوا شَاكِّينَ فِيمَا قَالُوا غَيْرَ مُحَقِّقِينَ لِشَيْءٍ كَانُوا فِيهِ.

(مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا) و هو العمل الذي أمر اللّه به، و رسوله (فَلِنَفْسِهِۦ)نفعه و ثوابه في الدنيا و الآخرة

(وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا)ضرره و عقابه، في الدنيا و الآخرة،

و فـــــــى هذا حـــــــثٌّ:-

١-على فعـل الخيـر٢-و تــرك الشــر٣-و انتفاع العاملين، بأعمالهم الحسنة، و ضررهم بأعمالهم السيئة

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) فيُحمِّل أحدًا فوق سيئاتهم-لَا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبٍ،

وَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَ إِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ٤٦

كيف تربو هذه التربة الأرضية بإنزال الماء عليها؟

يتكون جزئ الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي أيدروجين برابطة قوية لا يسهل فكها،وترتبط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاو، له قطبية كهربية واضحة لأن كلا من ذرتي الإيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية، و ذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، مما يجعل جزئ الماء غير تام التعادل كهربيا، وإلي هذه القطبية الكهربية تعود صفات الماء المميزة له من مثل قدرته الفائقة علي الإذابة، وعلي التوتر السطحي، وشدة تلاصق جزئياته مما يجعل له القدرة علي التسلق(الخاصية الشعرية)وعلي التكور في هيئة قطرات، وعدم امتزاج محاليله امتزاجا كاملا. و الماء بهذه الصفات الطبيعية المميزة إذا نزل علي تربة الأرض أدي إلي إثارتها كهربيا مما يجعلها تهتز وتتنفس و يزداد حجمها فتربو وتزداد و ذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميؤها الي اهتزاز مكونات التربة، وزيادة حجمها، وارتفاعها الي أعلي حتي ترق رقة شديدة فتنشق مفسحة طريقا سهلا آمنا لسويقة(ريشة) النبتة الطرية الندية المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة بالتربة.